حياة القلوب

تفسير كلام علام الغيوب

تأليف

سعيد بن مصطفى دياب

مُقَدِّمَة

إنَّ الحَمْدَ لله، نَحْمَدُه، ونستعينُه، ونستغفرُهُ، ونعوذُ به مِن شُرُورِ أنفُسِنَا، وَمِنْ سيئاتِ أعْمَالِنا، مَنْ يَهْدِه الله فَلا مُضِلَّ لَهُ، ومن يُضْلِلْ، فَلا هَادِي لَهُ.

وأَشْهَدُ أنْ لا إلَهَ إلا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وأشهدُ أنَّ مُحَمَّدًا عبْدُه ورَسُولُه.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾.[1]

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾.[2]

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾.[3]

وبعد فهذا هو الجزء السَّابعَ عشرَ من كتاب: (حَيَاةُ الْقُلُوبِ تَفْسِيرُ كَلَامِ عَلَّامِ الْغُيُوبِ)، أسأل الله أن ينفع به، وأن يجعله خالصًا لوجهه، وأن يتقبله بفضله ومنه وكرمه.

سعيد بن مصطفى دياب

الدوحة في: ١٧ صفر ١٤٤٨هـ

الموافق: ٣١/ ٧/ ٢٠٢٦م

---

١ – سورة آل عمران: الآية/ ١٠٢

٢ – سورة النساء: الآية/ ١

٣ – سورة الأحزاب: الآية/ ٧٠، ٧١

www.alukah.net
شبكة الألوكة

تفسير سورة الأنبياء

سورة الأنبياء سورة مكية.

وسميت بسورة الأنبياء لكثرة مَن ذُكر فيها من الأنبياء، فقد ذكر فيها خمسة عشر نبيًّا.

مناسبة السورة لما قبلها:

مناسبتها لما قبلها أن الله تعالى قال في آخر سورة طه: ﴿قُلْ كُلٌّ مُتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحابُ الصِّراطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدى﴾ [طه: ١٣٥]، ولا يكون ذلك العلم إلا يوم القيامة حين يقوم الناس لرب العالمين، وتنصب الموازين، وتنشر الدوواين، ويعرض الناس للحساب، وقال في أول هذه السورة: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ﴾.

بين يدي السورة:

سورة الأنبياء سورة مكية، وشأنها شأن السور المكية التي نزلت تعالج قضايا العقيدة، ومنها الأمر بتوحيد الله تعالى، والنهي عن الشرك، وإثبات البعث والنشور، والحساب والجزاء، وإنزال الكتب، وإرسال الرسل، وقد ذكر الله تعالى عددًا من الأنبياء في السورة؛ لبيان سنته في إرسال الرسل، ردًّا على أهل مكة الذين تعجبوا من أرسال الرسل من البشر، وبادروا إلى تكذيب الرسول صلى الله عليه وسلم.

افتتح الله تعالى السورة بهذا الخبر العجيب الذي يأخذ بمجامع القلوب، ويصك الأسماع، ويذهل الألباب، ليحرك في النفس البشرية كوامن الإيمان، ويهزها هزًّا عنيفًا لتستفيق من غفلتها: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ﴾، وبيان حالهم مع آيات الله التي تتلى عليهم، وحالهم من رسل الله صلوات الله عليهم أجمعين، وغلبة اللعب واللهو عليهم؛ ﴿إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ (٢) لاهِيَةً قُلُوبُهُمْ﴾.

ثم بيان سنة الله تعالى فيمن آمن به واستجاب لرسله: ﴿مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْناها أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ (٦)﴾.

ثم بيان سنته تعالى في إرسال الرسل: ﴿وَما أَرْسَلْنا قَبْلَكَ إِلَاّ رِجالاً نُوحِي إِلَيْهِمْ فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ (٧)﴾.

وبيان سنته تعالى في إهلاك المكذبين: ﴿وَكَمْ قَصَمْنا مِنْ قَرْيَةٍ كانَتْ ظالِمَةً وَأَنْشَأْنا بَعْدَها قَوْماً آخَرِينَ (١١)﴾.

ثم بيان افتراءات المشركين والرد عليها وتفنيدها: ﴿وَما خَلَقْنَا السَّماءَ وَالْأَرْضَ وَما بَيْنَهُما لاعِبِينَ (١٦) لَوْ أَرَدْنا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْواً لاتَّخَذْناهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فاعِلِينَ (١٧)﴾.

ثم ذكر الله تعالى شيئًا من دلائل وحدانيته، ودلائل قدرنه فقال: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ (٣٣)﴾، ثم تمضي الآيات في بيان دلائل قدرة الله تعالى، والتذكير بنعم الله تعالى على العباد، ثم ذكر شيء من أهوال يوم القيامة ووضع الموازين لفصل القضاء بين العباد: ﴿وَنَضَعُ الْمَوازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِنْ كانَ مِثْقالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنا بِها وَكَفى بِنا حاسِبِينَ (٤٧)﴾.

ثم ذَكَرَ جملة من الأنبياء والمرسلين: موسى، وهارون، وإبراهيم، ولوطًا، وإسحاق ويعقوب، وداود، وسليمان، وإسماعيل، وإدريس، وذا الكفل، ويونس، وزكريا، ويحيى، وعيسى، ولكثرة من ذكر فيها من الأنبياء سميت بسورة الأنبياء.

ثم ذكر الله تعالى اقتراب الساعة، وخروج يأجوج ومأجوج تحذيرًا للعباد من انقضاء أعمارهم في اللعب واللهو، فقال: ﴿حَتَّى إِذا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ (٩٦) وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ..... (٩٧)﴾.

ثم توعد الله تعالى من آثر الكفر على الإيمان، وظل سادرًا في غيه حتى مات على الكفر، بدخول النار مع معبوديهم، فقال: ﴿إِنَّكُمْ وَما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَها وارِدُونَ (٩٨)﴾.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ثم ذكر الله تعالى جزاء المؤمنين المتقين فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ (١٠١)﴾.

ثم وعد الله تعالى المؤمنين بالنصر والتمكين فقال: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ (١٠٥)﴾.

ثم أمر الله تعالى رسوله محمدًا صلى الله عليه وسلم بإعلام المشركين المكذبين، بما ينتظرهم من العذاب الدنيوي إذا أقاموا على الكفر، فقال: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ آذَنْتُكُمْ عَلَى سَوَاءٍ وَإِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَمْ بَعِيدٌ مَا تُوعَدُونَ (١٠٩)﴾، ثم ختم الله تعالى السورة بدعاء الرسول صلى الله عليه وسلم ربه تبارك وتعالى أن يفصل بينه وبين أولئك المشركين، ووكل أمرهم إلى الله تعالى فقال: ﴿قَالَ رَبِّ احْكُمْ بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ (١١٢)﴾.

﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ (١) مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ (٢) لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ (٣) قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٤)﴾.

يقول الله تعالى منبها للعباد، ومحذرًا لهم من التمادي في الغفلة، والإعراض عن ذكر الله وعن عبادته وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾؛ أي: دنا للناس وقت حسابهم على أعمالهم، باقترابِ الساعةِ، ولفظ الناس عام يراد به الخصوص، وهم المشركون بدلالة الآيات بعدها.

﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ﴾.

وهم في غفلة عن قرب الحساب، معرضون عن الاستعداد ليوم الميعاد.

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم: ﴿فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ﴾، قَالَ: «فِي الدُّنْيَا».[1]

١ - رواه النسائي في السنن الكبرى- كتاب التفسير، سورة الأنبياء، حديث رقم: ١١٢٦٩

﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ إِلَاّ اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾.

أي: ما يأتيهم من شيء من القرآن أحدث الله تعالى إليهم نزوله يأمرهم وينهاهم، ويعظهم ويذكرهم، فمهما تتابع عليهم الآيات والسور، آية في إثر آية، وسورة في إثر سورة.

قال مقاتل: يُحدِثُ اللَّه الأمرَ بعد الأمر.

﴿إِلَاّ اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾.

إلا استمعوه حال لعبهم، لشدة إعراضهم عنه وتكذيبهم له.

﴿لاهِيَةً قُلُوبُهُمْ﴾.

أي: غافلة قلوبهم عن تدبر كلام الله تعالى، وما فيه من الأمر والنهي، والوعظ والتذكير.

﴿وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَاّ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾.

أسر من ألفاظ الأضداد؛ يقال: أسر بمعنى: أظهر، وبمعنى: أخفى، والمراد هنا: أنهم أظهروا النجوى، لجرأتهم على تكذيب الرسول، وتماديهم في الكفر بالله تعالى.

قال أبو عبيدة: ﴿وَأَسَرُّوا﴾. من حروف الأضداد، أي أظهروا.[1]

قال الفرزدق:

فلما رأى الحجاجَ جرد سيفه **** أسرَّ الحروريُّ الذي كان أضمرا
*

والمعنى: وأظهر الذين كفروا المناجاةَ بينَهم فقالوا: هل هذا الذي يزعُمُ أَنَّه رسولٌ من اللهِ أرسَله إليكم، ﴿إِلَاّ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾، استبعادًا منهم أن يرسل الله تعالى إلى أهل الأرض رسولًا من البشر.

١ - مجاز القرآن (٢/ ٣٤)

www.alukah.net
شبكة الألوكة

واختلف النحاة في إعراب قوله: ﴿وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾. على أقوال: فذهب سيبويه إلى أن الضمير في: ﴿أَسَرُّوا﴾. فاعل وأن ﴿الَّذِينَ﴾، بدل منه، وقال أبو عبيدة والأخفش: الواو والألف علامة أن الفاعل مجموع كالتاء في قولك قامت هند والذين فاعل بـ ﴿أَسَرُّوا﴾، على لغة من قال: أكلوني البراغيث، وهي لغة فاشية، ومنها في القرآن قوله تعالى: ﴿ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ﴾.[1]

ومن شواهدها قول الشاعر:

يَلُومونَني في اشتراءِ النَّخيـ **** ـل قَومي وكلُّهمُ ألوَمُ *

وقول أبي تمام:

بك نال النصال دون المساعي **** واهتدَيْنَ النبالُ للأغراض *

وقوله أيضًا:

وأشجيتُ أيامي بصبرٍ حَلَون لي **** عواقبُه والصبرُ مثلُ اسمه صبرُ *

وقيل: الضمير فاعل و﴿الَّذِينَ﴾، مرفوع بفعل مقدر تقديره: أسرها الذين ظلموا: أو قال الذين ظلموا.

﴿أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾.

---

١ - سورة المائدة: الآية/ ٧١

استفهام بمعنى التوبيخ والإنكار؛ أي: يقول هؤلاء المشركون، تلبيسًا على الضَّعَفاء وتنفيرًا لهم عن متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم: ليس هو برسول من عند الله بل هو ساحر، أفتأتونه لاستماع هذا الكلام الذي هو سحرٌ وأنتم تعلمون أنه سحر؟

﴿قالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّماءِ وَالْأَرْضِ﴾.

قرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم وخلف العاشر: ﴿قالَ رَبِّي يَعْلَمُ﴾، على الخبر؛ أي قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: ربِّي يعلمُ قول كلِّ قائلٍ في السماءِ والأرضِ، لا يَخْفَى عليه منه شيءٌ.

وقرأ الباقون: ﴿قُلْ رَبِّي يَعْلَمُ﴾، على الأمر، أي: قل يا محمد للَّذين أسرُّوا النجوى، وقالوا: ﴿أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾، قل لهم: ربِّي يعلمُ قول كلِّ قائلٍ في السماءِ والأرضِ.

﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾.

وهو السميع لما يتكلمون به من الكذب والبهتان، وسيجازيهم عليه، وهو العليم بصدق رسوله صلى الله عليه وسلم، والعليم بما يفعلونه من الصد عن سبيله، وهو تذييل يتضمن الوعيد.

﴿بَلْ قالُوا أَضْغاثُ أَحْلامٍ بَلِ افْتَراهُ بَلْ هُوَ شاعِرٌ فَلْيَأْتِنا بِآيَةٍ كَما أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ (٥) مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْناها أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ (٦) وَما أَرْسَلْنا قَبْلَكَ إِلاّ رِجالاً نُوحِي إِلَيْهِمْ فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ (٧) وَما جَعَلْناهُمْ جَسَداً لا يَأْكُلُونَ الطَّعامَ وَما كانُوا خالِدِينَ (٨) ثُمَّ صَدَقْناهُمُ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْناهُمْ وَمَنْ نَشاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ (٩)﴾.

بل للإضراب الانتقالي للانتقال من حكاية قول فريق إلى حكاية قول فريق آخر منهم.

يخبر الله تعالى عن حيرة المشركين في أمر الرسول صلى الله عليه وسلم، وتخبطهم في دفع ما جاء به، فقالوا: سحر؛ ﴿أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾، ثم قالوا: أضغاث أحلام؛ ﴿بَلْ قالُوا أَضْغاثُ أَحْلامٍ﴾، والأضغاثُ الأشياء المختلطة، فأضربوا عن قولهم هو سحر إلى أنه

www.alukah.net
شبكة الألوكة

تخاليط أحلام، ثم قالوا: افتراه، يعني: اختلقه من عنده ونسبه إلى الله تعالى؛ ﴿بَلِ افْتَراهُ﴾، كما قال الله تعالى في الآية الأخرى: ﴿وَقالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذا إِلَاّ إِفْكٌ افْتَراهُ وَأَعانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ﴾ [الفرقان: ٤]، ثم قالوا شاعر: ﴿بَلْ هُوَ شاعِرٌ﴾، كما قال في الآية أخرى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ شاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ﴾ [الطور: ٣٠]، وسبب تلك الحيرة، وذلك الاضطراب أن الباطل لجلج، والكذاب مرتاب.

﴿فَلْيَأْتِنا بِآيَةٍ كَما أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ﴾.

ظاهر كلامهم أنهم أرادوا أن يأتيهم بمعجزة من جنس معجزات الأنبياء السابقين، كناقة صالح، وعصا موسى، وإحياء الموتى كعيسى عليه السلام، وحقيقة الأمر أنهم قالوا ذلك تعنتًا، وعنادًا.

﴿مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْناها أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ﴾.

يقول الله تعالى: أرسلنا رسلنا السابقين بالآيات البينات، والمعجزات الباهرات، فما آمنت قرية بنبيها حين أتاها بالمعجزات الدالة على صدقه، فأهلكناهم، فما الذي يجعل هؤلاء المشركين يؤمنون إذا رأوا الآيات؟

وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿وَما مَنَعَنا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآياتِ إِلَاّ أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَآتَيْنا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِها﴾.[1]

﴿وَما أَرْسَلْنا قَبْلَكَ إِلَاّ رِجالاً نُوحِي إِلَيْهِمْ﴾.

لما قال المشركون: ﴿هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾ [الأنبياء: ٣]، رد الله تعالى عليهم بأنه ما أرسل إلى الناس إلا رجالًا منهم يوحي الله تعالى إليهم، ولم يرسل إليهم ملائكة.

﴿فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾.

---

١ - سورة الإسراء: الآية/ ٥٩

فاسألوا أهل الكتاب إن كنتم لا تعلمون سنة الله تعالى في إرسال الرسل، يخبروكم أنهم كانوا رجالا يأكلون الطعام ويمشون في الأسواق.

قال الحسن، وقتادة، والكلبي: يعني أهل التوراة والإنجيل.[1]

عن مجاهدٍ: ﴿فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾. قال: أهل التوراة.[2]

وعنه قال: قال: هم أهلُ الكتابِ.[3]

وقال ابن عباس: يريد أهل التوراة الذين آمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم.[4]

وقيل: أهلُ الذِّكرِ أهلُ القرآن.

والراجح الأول لأن السورة مكية.

﴿وَما جَعَلْناهُمْ جَسَداً لا يَأْكُلُونَ الطَّعامَ وَما كانُوا خالِدِينَ﴾.

أي: وما جعلناهم ذوي أجساد إلَّا ليأْكُلوا الطعامَ، وقال: جسدًا ولم يقل: أجسادًا؛ لأنه اسم جنس. أي: وما جعلنا الرسل ملائكة، بل جعلناهم بشرًا يأكلون الطعام، ﴿وَما كانُوا خالِدِينَ﴾، ولم نقدر لهم الخلود في الدنيا.

﴿ثُمَّ صَدَقْناهُمُ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْناهُمْ وَمَنْ نَشاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ﴾.

ثم صدقناهم الوعد الذي وعدناهم بإهلاك أعدائهم، ﴿فَأَنْجَيْناهُمْ وَمَنْ نَشاءُ﴾، يعني: المؤمنين، ﴿وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ﴾، المجاوزين الحدَّ بالكفر بالله تعالى.

﴿لَقَدْ أَنْزَلْنا إِلَيْكُمْ كِتاباً فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلا تَعْقِلُونَ (١٠) وَكَمْ قَصَمْنا مِنْ قَرْيَةٍ كانَتْ ظالِمَةً وَأَنْشَأْنا بَعْدَها قَوْماً آخَرِينَ (١١) فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنا إِذا هُمْ مِنْها يَرْكُضُونَ (١٢)

---

١ – تفسير عبد الرزاق– سورة الأنبياء، رقم: ١٨٤٩

٢ – تفسير الطبري (١٤/ ٢٢٧)

٣ – تفسير الطبري (١٤/ ٢٢٧)

٤ – التفسير البسيط (١٣/ ٦٤)

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَساكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْئَلُونَ (١٣) قالُوا يا وَيْلَنا إِنَّا كُنَّا ظالِمِينَ (١٤) فَما زالَتْ تِلْكَ دَعْواهُمْ حَتَّى جَعَلْناهُمْ حَصِيداً خامِدِينَ (١٤)﴾.

يقول الله تعالى: أقسم لقد أنزلنا إليكم كتابًا فيه شرفكم، فالقرآن شَرَفٌ لمن اتَّبعَه وعمِل بما فيه؛ كما قال تعالى: ﴿بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ﴾ [المؤمنون: ٧١]، أي: بما فيه فخرهم وشرفهم، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْئَلُونَ﴾ [الزخرف: ٤٤]، قال مجاهد: الذكر هو الشرف.[١]

﴿أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾.

أفلا تدركون ما خصكم الله تعالى به، وما فضلتكم به على غيركم، من إنزال الكتاب إليكم بلغتكم، وإرسال خاتم الرسل إليكم، ومجاورتكم لحرم الله تعالى.

﴿وَكَمْ قَصَمْنا مِنْ قَرْيَةٍ كانَتْ ظالِمَةً﴾.

يقول الله تعالى: وكثيرًا ما أهلكنا من القرى لكفرها بالله تعالى، وصدها عن سبيله، كما قال ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ﴾ [الإسراء: ١٧]، والقَصمُ أفظعُ الكسر، لأن فيه انفصالًا لأجزاء المكسور عن بعضها، بخلاف الفصم فإنه كسر بدون إبانة، وهو كناية عن الإهلاك العام.

﴿وَأَنْشَأْنا بَعْدَها قَوْماً آخَرِينَ﴾.

وخلقنا بعدها قومًا غيرهم، ورثوا أرضهم وسكنوا مساكنهم.

﴿فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنا إِذا هُمْ مِنْها يَرْكُضُونَ﴾.

أي: فلما رأوا عذابنا بحاسة البصر، ﴿إِذا هُمْ مِنْها يَرْكُضُونَ﴾. أصل الركض: ضرب الدابة بالرجل؛ ومنه قوله تعالى: ﴿ارْكُضْ بِرِجْلِكَ﴾ [ص: ٤٢]، أي: اضرب الأرض بها، يقال:

---

١ - تفسير إسحاق البستي (٢/ ٣١٦)

ركض الرجل إذا فَرَّ وعدا، يقول الله تعال: فلما رأوا عذابنا النازلَ بهم هربوا مسرعين مُنهَزمين يريدون النجاة.

﴿لا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَساكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْئَلُونَ﴾.

في الكلام حذف اختصار تقديره: قالت لهم الملائكة: لا تفروا وارجعوا إلى دُنياكم التي أُترِفتُم فيها، ومساكنكم التي كنت تسكنونها، وتتنعمون فيها، ﴿لَعَلَّكُمْ تُسْئَلُونَ﴾، قالوا لهم ذلك تهكمًا بهم وسخرية واستهزاءً منهم، كأنهم قالوا: ربما يحتاج إليكم محتاج فيسألكم المعونة.

﴿قالُوا يا وَيْلَنا إِنَّا كُنَّا ظالِمِينَ﴾.

دعوا على أنفسهم بالويل والثبور والهلاك، وأقروا أنهم كانوا ظالمين بكفرهم بالله تعالى، وندموا حيث لا ينفع الندم.

﴿فَما زالَتْ تِلْكَ دَعْواهُمْ حَتَّى جَعَلْناهُمْ حَصِيداً خامِدِينَ﴾.

أي: ما زالت تلك الكلمة وهي ﴿يا وَيْلَنا إِنَّا كُنَّا ظالِمِينَ﴾، دعاءهم يرددونها، ﴿حَتَّى جَعَلْناهُمْ حَصِيداً﴾، أي: مثل الحصيد وهو الزرع المحصود، بالعذاب، ﴿خامِدِينَ﴾، أي: ميتين كخمود النار إذا طفئت، شُبِّهوا في استئصالهم بالزَّرع المحصود، وفي سكونهم بعد دمارهم بالنَّار الخامدة.

﴿وَما خَلَقْنَا السَّماءَ وَالْأَرْضَ وَما بَيْنَهُما لاعِبِينَ (١٦) لَوْ أَرَدْنا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْواً لاتَّخَذْناهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فاعِلِينَ (١٧) بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْباطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذا هُوَ زاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ (١٨)﴾.

لما صرح الكفار بأن خلق السماوات والأرض وجد مصادفة بلا حكمة، وأنه باطل، رد الله تعالى مزاعمهم فقال: ﴿وَما خَلَقْنَا السَّماءَ وَالْأَرْضَ وَما بَيْنَهُما لاعِبِينَ﴾، وأخبر أن هذا من مزاعم الذين كفروا؛ كما قال تعالى: ﴿وَما خَلَقْنَا السَّماءَ وَالْأَرْضَ وَما بَيْنَهُما باطِلاً ذلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [ص: ٢٧]، ثم توعدهم الله تعالى على سوء ظنهم وكفرهم بالله تعالى فقال:

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾ [ص: ٢٧]، وبين الله تعالى الحكمة من خلق الخلق فقال: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾. [الملك: ٢]، فبين سبحانه وتعالى العلة من خلق السماوات والأرض، وأنه خلقهما لغاية عظيمة، وحكمة بالغة، وليس كما زعم أعداؤه؛ قال ابن عباس: لأجازي أوليائي، وأعذِّب أعدائي.

وعن قتادَةَ في قوله: ﴿وَما خَلَقْنَا السَّماءَ وَالْأَرْضَ وَما بَيْنَهُما لاعِبِينَ﴾. قال: ما خَلَقْناهما عَبَثًا ولا باطلًا.[1]

﴿لَوْ أَرَدْنا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْواً لاتَّخَذْناهُ مِنْ لَدُنَّا﴾.

اللهو: طلب الترويح عن النفس، وقيل: اللهو: المرأة، ولا دليل على التخصيص، وإنما المراد نفي ما زعمه الكفار من اللعب والعبث والباطل، يقول تعالى: لو أردنا اللعب واللهو ﴿لاتَّخَذْناهُ مِنْ لَدُنَّا﴾، وما كان له تعلق بكم من البعث والنشور، الحساب والجزاء، والجنة والنار، ولا تطلعون عليه.

﴿إِنْ كُنَّا فاعِلِينَ﴾.

أي: إن كنا فاعلين ذلك، ولكن تأبى ذلك حكمة الله البالغة.

وقيل: إن نافية؛ أي: ما كنا فاعلين ذلك، و﴿كُنَّا﴾ لاستمرار النَّفي، لا لنفي الاستمرار؛ لأنه ليس من شأن الحكيم.

﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْباطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذا هُوَ زاهِقٌ﴾.

بل إضراب إبطال وارتقاء، إضراب عن اتخاذ اللهو واللعب وارتقاء إلى نفي إرادة الاتخاذ، كأنه قيل: لكنا لا نريده بل نقذف بالحق على الباطل الذي من جملته اللهو ﴿فَيَدْمَغُهُ﴾؛ أي: فيهلكه كما يضرب الرجل الرجل على رأسه فيشجه شجة تبلغ الدماغ، فلا تكون له بعدها حياة، ﴿فَإِذا هُوَ زاهِقٌ﴾، فإذا هو هالك.

---

١ - رواه الطبري (١٦/ ٢٣٨)، وابن أبي حاتم- رقم: ١٣٦١٥

﴿وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾.

توعدهم الله تعالى بالويل على افترائهم، ووصفهم الله بما لا يجوز، وسوء ظنهم به؛ كما قال تعالى: ﴿وَما خَلَقْنَا السَّماءَ وَالْأَرْضَ وَما بَيْنَهُما باطِلاً ذلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾.[1]

﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبادَتِهِ وَلا يَسْتَحْسِرُونَ (١٩) يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهارَ لا يَفْتُرُونَ (٢٠) أَمِ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ (٢١) لَوْ كانَ فِيهِما آلِهَةٌ إِلاّ اللَّهُ لَفَسَدَتا فَسُبْحانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ (٢٢) لا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ (٢٣) أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هاتُوا بُرْهانَكُمْ هَذا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ (٢٤)﴾.

مناسبة الآيات لما قبلها:

قال الفخر الرازي: لما حكى الله تعالى كلام الطاعنين في النبوات وأجاب عنها، وبيَّن أن غرضهم من تلك المطاعن التمرد وعدم الانقياد، بيَّن في هذه الآية أنه تعالى منزه عن طاعتهم؛ لأنه هو المالك لجميع المحدثات والمخلوقات، ولأجل أن الملائكة مع جلالتهم مطيعون له خائفون منه فالبشر مع نهاية الضعف أولى أن يطيعوه.[2]

﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ﴾.

اللام في قوله: ﴿وَلَهُ﴾ للملك، أي: إن أعرض أولئك المشركون عن عبادة الله تعالى، والخضوع له فإنه تعالى غني عنهم، فلا تنفعه طاعة الطائعين، ولا تضره معصية العصاة

١ - سورة ص: الآية/ ٢٧

٢ - تفسير الرازي (٢٢/ ١٢٥)

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المذنبين، وهو تعالى مع ذلك لهم من في السماوات والأرض ملكًا وخلقًا، الكل خاضع لعظمته، مقيم على طاعته، وعبادته.

﴿وَمَنْ عِنْدَهُ لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبادَتِهِ وَلا يَسْتَحْسِرُونَ﴾.

والذين عنده وهم الملائكة، خصهم الله تعالى بالذكر لكرامتهم، ومزيد الاعتناء بهم، ﴿لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبادَتِهِ﴾، لا يستنكفون عن عبادته؛ كما قال تعالى: ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلا الْمَلائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ [النساء: ١٧٢]، ﴿وَلا يَسْتَحْسِرُونَ﴾، لا يتعبون ولا ينقطعون عنها.

﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهارَ لا يَفْتُرُونَ﴾.

يعبدون الله تعالى عبادة دائمة بلا انقطاع، ولا كلل ولا فتور؛ عَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ، وَأَسْمَعُ مَا لَا تَسْمَعُونَ أَطَّتِ السَّمَاءُ، وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَئِطَّ مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعَ إِلَّا وَمَلَكٌ وَاضِعٌ جَبْهَتَهُ سَاجِدًا لِلَّهِ».[1]

﴿أَمِ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ﴾.

﴿أَمِ﴾، هي المنقطعة بمعنى: (بل) والهمزة؛ للإضراب عمَّا قبلها، والإنكارِ لِمَا بعدَها، وهو اتِّخاذُ آلهةٍ أرضيَّة، وذكر الأرض تسفيها لهم، وتحقيرًا لأصنامهم، ﴿هُمْ يُنْشِرُونَ﴾، أي يحيون الموتى، وهو تهكم بهم؛ وتقديم الضمير للمبالغة في التهكم؛ لأن أوثانهم أموات غير أحياء؛ كما قال تعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلا نَفْعاً وَلا يَمْلِكُونَ مَوْتاً وَلا حَياةً وَلا نُشُوراً﴾.[2]

﴿لَوْ كانَ فِيهِما آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتا﴾.

---

١ – رواه أحمد– حديث رقم: ٢١٥١٦، والترمذي– أبواب الزهد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب في قول النبي صلى الله عليه وسلم: «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا»، حديث رقم: ٢٣١٢، بسند حسن

٢ – سورة الفرقان: الآية/ ٣

أي: لو كان في السماوات والأرض آلهة غير الله لفسدتا؛ لما يحدث بينهما من الاختلاف والتنازع في التدبير وقصد المغالبة، والفساد: هو اختلال النظام.

﴿فَسُبْحانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾.

تنزيه لله تعالى عن النقائص، ﴿فَسُبْحانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ﴾، تخصيص العرش بالذكر لأنه أعظم المخلوقات، ﴿عَمَّا يَصِفُونَ﴾، من الأنداد والشركاء، فإن زعم المشركين وجود آلهة مع الله قدح في قدرة الله تعالى على الخلق والتدبير.

﴿لا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ﴾.

لأنه الخالق، والخلق كلهم عبيد له تحت قهره وسلطانه، وهم مسئولون عن أعمالهم.

﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هاتُوا بُرْهانَكُمْ﴾.

يقول تعالى: بل اتخذوا من دون الله الخالق آلهة، وكرَّره استعظامًا لكفرهم، واستفظاعًا لأمرهم، ﴿قُلْ هاتُوا بُرْهانَكُمْ﴾، من الأدلة العقلية أو النقلية على استحقاقهم لوصف الألوهية.

﴿هَذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي﴾.

أي: هذا القرآن الذي جئتكم به من عند الله فيه ﴿ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ﴾، أي: خبر من أرسلت إليهم بما لهم من الثواب على إيمانهم به، وما عليهم من العقاب على كفرهم به، ﴿وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي﴾، أي: وخبر من تقدم من الأمم الغابرة، وما فعل الله بهم في الدنيا، وما هو فاعل بهم في الآخرة.

﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾.

بل أكثر هؤلاء المشركين لا يعلمون حقائق الأمور، ومنها توحيد الله تعالى، والغاية من خلقهم، ﴿فَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾، فهم معرضون عن الحق معادون له لجهلهم به، ومن جهل شيئًا عاداه.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿وَما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ (٢٥) وَقالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمنُ وَلَداً سُبْحانَهُ بَلْ عِبادٌ مُكْرَمُونَ (٢٦) لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ (٢٧) يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَما خَلْفَهُمْ وَلا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ (٢٨) وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلهٌ مِنْ دُونِهِ فَذلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ (٢٨)﴾.

يقول الله تعالى وما أرسلنا من قبلك في أمة من الأمم من رسولٍ إلا وأوحينا إليه أنه لا معبود بحق إلا الله تعالى، فوحدوا الله ولا تشركوا به، وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولا أَنِ اُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾.[1]

﴿وَقالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمنُ وَلَداً سُبْحانَهُ بَلْ عِبادٌ مُكْرَمُونَ﴾.

لما أخبر الله تعالى عن الغاية من إرسال الرسل وإنزال الكتب، في الآية السابقة بين تعالى هنا أن أكثر الناس قد انحرفوا عن منهج الرسل ونسبوا لله تعالى الولد افتراء عليه، فقال تعالى ردًا على مشركي العرب الذين قالوا: إن الملائكة بنات الله، وعلى اليهود الذين زعموا أن عزيرًا ابن الله، وعلى النصارى الذين زعموا أن المسيح ابن الله تعالى الله عن ذلك علوا كبيرًا فقال: ﴿وَقالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمنُ وَلَداً﴾، تقبيحًا لقولهم، واستعظامًا لفريتهم، ﴿سُبْحانَهُ﴾، تنزيه له تعالى عن مزاعمهم الباطلة، ﴿بَلْ عِبادٌ مُكْرَمُونَ﴾، أضرب عن قولهم، ثم أثبت لهم العبودية المنافية للولادة، واثنى عليهم بأنهم مقربون عنده.

﴿لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾.

هذا ثناء من الله تعالى على الملائكة بكمال الطاعة والخضوع له تعالى، فلا يتكلمون إلا بما أذن الله تعالى لهم فيه، ﴿وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾، ولا يعملون إلَّا ما أمرهم به، فهم لا يتقدمون بين يديه بقول ولا بعمل.

---

١ - سورة النحل: الآية/ ٣٦

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَما خَلْفَهُمْ﴾.

يخبر الله تعالى عن كمال علمه بما عليه الملائكة، وأنه تعالى لا تخفى عليه خافية، فهو يعلم ما ستعمله الملائكة، ويعلم ما عملوه في سالف الأزمان

﴿وَلا يَشْفَعُونَ إِلَاّ لِمَنِ ارْتَضى﴾.

ولا يشفعون إلا لمن رضي الله تعالى عنه؛ كما قال تعالى: ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّماواتِ لا تُغْنِي شَفاعَتُهُمْ شَيْئاً إِلَاّ مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشاءُ وَيَرْضى﴾ [النجم: ٢٦]، قال مجاهد قوله: ﴿إِلَاّ لِمَنِ ارْتَضى﴾، لمن رضي عنه.

﴿وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾.

وهم من شدة خوفهم من الله تعالى وتعظيمهم له حذرون غضبه وعذابه.

﴿وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلهٌ مِنْ دُونِهِ فَذلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾.

ومن يدعى من الملائكة أنه إله من دون الله، ﴿فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ﴾، أي: نجزي من قال ذلك جهنم، وهذا شرط والشرط لا يلزم وقوعه، كقوله تعالى: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر: ٦٥]، وذلك محال في حق الرسل عليهم السلام. ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾، أي: كما نجازي هذا القائل جهنم نجازي الظالمين.

﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ كانَتا رَتْقاً فَفَتَقْناهُما وَجَعَلْنا مِنَ الْماءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلا يُؤْمِنُونَ (٣٠) وَجَعَلْنا فِي الْأَرْضِ رَواسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنا فِيها فِجاجاً سُبُلاً لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ (٣١) وَجَعَلْنَا السَّماءَ سَقْفاً مَحْفُوظاً وَهُمْ عَنْ آياتِها مُعْرِضُونَ (٣٢) وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ (٣٢)﴾.

مناسبة الآيات لما قبلها:

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لما نفى الله تعالى مزاعم المشركين، وردَّ عليهم افتراءهم بنسبة الولد إليه، ذكر هنا شيئًا من دلائل الوحدانية، وشيئًا من دلائل قدرته تعالى في الخلق والإبداع.

﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ كانَتا رَتْقاً فَفَتَقْناهُما﴾.

يقول الله تعالى: أو لم يعلم الذين كفروا ﴿أَنَّ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ كانَتا رَتْقاً﴾؛ أي: كانتا متلاصقتين، ﴿فَفَتَقْناهُما﴾، أي: ففصلناهما، والرتق: الاتصال والتلاصق بين أجزاء الشيء، والفتق: ضده، وهو الفصل بين الشيئين، وهذا هو الذي يسميه العلماء بالانفجار العظيم.

وقال تعالى: ﴿كانَتا﴾ مع أن السماوات والأرض جمع؛ لأنَّهما صنفان. وقال: ﴿رَتْقاً﴾، بعد قوله: ﴿كانَتا﴾؛ لأنه مصدرٌ أريد به النعت.

وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، فيه إشارة إلى ما سيطلعهم الله تعالى عليه من دلائل وحدانيته، ودلائل قدرته تعالى على الخلق؛ كما قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آياتِنا فِي الْآفاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾.[1]

﴿وَجَعَلْنا مِنَ الْماءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾.

ومن دلائل قدرته تعالى أنه خلق من الماء كل حيوان؛ كما قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ ماءٍ﴾.[2]

﴿أَفَلا يُؤْمِنُونَ﴾.

أفلا يصدقون أن من فعل ذلك هو الخالق العظيم فيفردونه بالعبادة!

﴿وَجَعَلْنا فِي الْأَرْضِ رَواسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ﴾.

ومن دلائل قدرته تعالى أنه جعل في الأرض جبالًا ثابتات، لئلَّا تضطرب وتميدَ بهم.

---

١ - سورة فصلت: الآية/ ٥٣

٢ - سورة النور: الآية/ ٤٥

﴿وَجَعَلْنا فِيها فِجاجاً سُبُلاً لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾.

يقول تعالى: وجعلنا في الأرض طرقًا واسعة، والفجاج: جمع فجٍّ، وهو الطريق الواسع، وهذه الآية كقوله تعالى: وهو كقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِساطاً (١٩) لِتَسْلُكُوا مِنْها سُبُلاً فِجاجاً﴾ [نوح: ٢٠]، ليهتدوا بها في سيرهم وأسفارهم.

﴿وَجَعَلْنَا السَّماءَ سَقْفاً مَحْفُوظاً وَهُمْ عَنْ آياتِها مُعْرِضُونَ﴾.

يقول الله تعالى: ومن دلائل قدرته تعالى أنه جعل السماء سقفًا، أي: مرتفعة عن الأرض كارتفاع السقف بالنسبة للبيت، والسقف من أسماء السماء لارتفاعها، قال الله تعالى: ﴿وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ﴾ [الطور: ٥]، والسماء للأرض كالسقف للبيت، وقوله: ﴿مَحْفُوظاً﴾، قال ابن عباس: من الشياطين بالنجوم، قال تعالى: ﴿وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ﴾ [الحجر: ١٧]، وقيل: المراد حفظ السماء من الوقوع على الرض إلا بإذنه؛ لقوله تعالى: ﴿وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الأَرْضِ إِلا بِإِذْنِهِ﴾.[1]

﴿وَهُمْ عَنْ آياتِها مُعْرِضُونَ﴾.

وهم يعني المشركين عن آيات الله الكونية التي ترى في السماء كالنجوم والكواكب، والليل والنهار وغيرها معرضون عن التفكر فيها والاعتبار بها.

﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾.

تقديم الضمير للاختصاص؛ أي: وهو وحده تعالى الذي خلق الليل ليسكنوا فيه، وخلق النهار للسعي وكسب المعاش، وهو الذي خلق الشمس والقمر، ليعلموا بهما عدد السنين والحساب، وتستقيم بهما حياتهم، ولا خالق لهما إلا الله تعالى.

﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾.

---

١ - سورة الحج: الآية/ ٦٥

www.alukah.net
شبكة الألوكة

كلٌّ من الشمس والقمر والنجوم في تجري في فلك، والفلك: كل شيء مستدير، كما يسبح الإنسان في الماء.

﴿وَما جَعَلْنا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخالِدُونَ (٣٤) كُلُّ نَفْسٍ ذائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنا تُرْجَعُونَ (٣٥) وَإِذا رَآكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلاّ هُزُواً أَهذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ وَهُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمنِ هُمْ كافِرُونَ (٣٦) خُلِقَ الْإِنْسانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُرِيكُمْ آياتِي فَلا تَسْتَعْجِلُونِ (٣٧) وَيَقُولُونَ مَتى هذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ (٣٨) لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لا يَكُفُّونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلا هُمْ يُنْصَرُونَ (٣٩) بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّها وَلا هُمْ يُنْظَرُونَ (٤٠)﴾.

مناسبة الآيات لما قبلها:

لما قال المشركون عن الرسول صلى الله عليه وسلم: ﴿هُوَ شاعِرٌ فَلْيَأْتِنا بِآيَةٍ كَما أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ﴾ [الأنبياء: ٥]، وأخبر الله تعالى أنهم قالوا هو: ﴿شاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ﴾ [الطور: ٣٠]، أي: نتربص به الموت، فيموت كما مات شاعر بني فلان فنستريحُ منه ومِن سبِّه لأصنامنا وتسفيهه لأحلامنا، ناسب أن يبين الله تعالى تلك السنة الكونية التي لا تتخلف فقال: فنزلت: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ﴾؛ أي: الخلودَ في الدنيا، فليس في الموت ما يُبطل النبوة.

﴿وَما جَعَلْنا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخالِدُونَ﴾.

يقول الله تعالى لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم: ما خلَّدنا أحدًا من بني آدم قبلك يا محمد فإذا تمنى قومك موتك، فهل سيخلدون هم؟ بل الموت سبيلك وسبيل من مضى قبلك من الرسل ومن بني آدم أجمعين.

والغرض من السؤال الإنكار على هؤلاء المشركين الذين تمنوا موته صلى الله عليه وسلم.

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنا تُرْجَعُونَ﴾.

يخبر الله تعالى أن كل نفس من أنفس الخلائق، متجرعة كأس الموت حتمًا.

﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنا تُرْجَعُونَ﴾.

ونختبركم بالشر والمراد به البلاء، والشدة، والخير والمراد به الرخاء والسعة والعافية، ومرجعكم إلى الله تعالى للحساب والجزاء على أعمالكم.

﴿وَإِذا رَآكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَاّ هُزُواً﴾.

يخبر الله تعالى عن تمادي المشركين في غيهم، أنهم كانوا إذا رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم استهزؤا به وسخروا منه قائلين: ﴿أَهذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ﴾، تحقيرًا لشأنه، وهم ﴿وَهُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمنِ هُمْ كافِرُونَ﴾، وهم كافرون بما يجب عليهم أن يذكروا الرحمن تعالى به من التَّوحيد والتعظيم والثَّناء عليه بما هو أهله.

﴿خُلِقَ الْإِنْسانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُرِيكُمْ آياتِي فَلا تَسْتَعْجِلُونِ (٣٧) وَيَقُولُونَ مَتى هذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ (٣٨) لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لا يَكُفُّونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلا هُمْ يُنْصَرُونَ (٣٩) بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّها وَلا هُمْ يُنْظَرُونَ (٤٠)﴾.

مناسبة الآيات لما قبلها:

لما استعجل المشركون الآيات وقالوا: ﴿فَلْيَأْتِنا بِآيَةٍ كَما أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ﴾ [الآية: ٥]، بين الله تعالى أنه هذه سمة الإنسان، وأنه خلق مستعجلًا.

﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يخبر الله تعالى عن صفة الإنسان، أنه خلق عجولًا، والإنسان هنا اسم جنس، فهي سمة عامة في بني آدم، وقوله: ﴿مِنْ عَجَلٍ﴾، وُصِفَ بالمبالغة في العجلة، كما تقول: خلق فلان من الكرم، إذا كثر ذلك منه.

عن قتادة في قوله تعالى: ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾، قَالَ: خُلِقَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا.

وقال الزجاج: خوطبت العرب بما تعقل، والعرب تقول للذي يكثر الشيء: خلقت منه، كما تقول: أنت من لعب وخلقت من لعب، تريد المبالغة بوصفه باللعب.

﴿سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾.

أي: سأريكم عجائب قدرتي، وصنيعي بكم فلا تستعجلون.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.

وهذا مما يدل على عجلتهم، فإن الله تعالى لما توعدهم بالعذاب استعجلوا نزوله، فقالوا متى هذا العذب الذي تتوعدوننا به إن كنت صادقين، يعنون النَّبيَّ عليه السلام وأصحابَه رضي الله عنهم.

وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ﴾ [ص: ١٦]، أي: عجل لنا عذابنا.

﴿لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾.

سؤال الغرض منه بيان شدةِ هول ما يستعجلونه، وفظاعةِ ما فيهِ من العذاب، وأنهم إنما يستعجلونه لجهلهم، ووضع الظاهر موضع المضمر في ﴿لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، لبيان الحامل لهم على التكذيب، وتسجيل الكفر عليهم.

﴿حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾.

أي: لو يعلمون وقت لا يدفعون عن وجوههم التي هي أشرف أعضائهم النار استسلامًا وعجزًا ولا عن ظهورهم التي هي أشدّ أجسامهم العذاب ﴿وَلا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾ أي: ولا يُمنَعُون من العذاب في القيامة؟ وجواب لو محذوف وتقديره: لو علموا ذلك لما أقاموا على كفرهم ولما استعجلوا العذاب.

﴿بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّها وَلا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾.

بل تأتيهم القيامة فجأة فتحيرهم، وتذهل عقولهم فلا يستطيعون دفعها ﴿وَلا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾، ولا يمهلون للإيمان والتوبة أو المعذرة.

﴿وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ ما كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ (٤١) قُلْ مَنْ يَكْلَؤُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهارِ مِنَ الرَّحْمنِ بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ (٤٢) أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنا لا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ وَلا هُمْ مِنَّا يُصْحَبُونَ (٤٣) بَلْ مَتَّعْنا هؤُلاءِ وَآباءَهُمْ حَتَّى طالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَفَلا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُها مِنْ أَطْرافِها أَفَهُمُ الْغالِبُونَ (٤٤)﴾.

يقول الله تعالى لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم مهونًا عليه ما يلقاه من استهزاء المشركين ومسليًا عنه: ﴿وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾، كما استهزأ بك قومك، فلا تحزن فإن لك فيهم أسوة، ﴿فَحاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ﴾، فنزل وأحاط بالذين سخروا من الرسل، ﴿ما كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ﴾، أي: العذاب الذي استهزأوا به.

﴿قُلْ مَنْ يَكْلَؤُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهارِ مِنَ الرَّحْمنِ﴾.

يقول الله تعالى لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء الذين يكذبونك ويستهزؤن بك: من الذي يحفظكم بالله والنهار غير الرحمن الذ تتقلبون في نعمه وتكذبون رسوله؟ والغرض من السؤال: الإنكار والتقريع.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ومعنى يكلؤكم أي: يحرسكم ويحفظكم؛ يقال: كلأتُ القومَ، إذا حَرَستَهم، ويكلؤك الله؛ أي: يحفظك الله. قال ابن هَرْمةَ:

إِنَّ سُلَيْمَى واللَّهُ يَكْلَؤُها **** ضَنَّتْ بشَيءٍ ما كان يَرْزَؤُها
*

وذكر الليل والنهار لاستيعاب الأزمنة كأنه قيل: من يكلؤكم في جميع الأوقات.

وقوله تعالى: ﴿مِنَ الرَّحْمنِ﴾؛ أي: بدل الرحمن، قال الشاعر:

جَارية لَمْ تَلْبَس المُرقَّقا **** وَلَمْ تَذق منَ البُقول الفُسْتُقا
*

أي: لم تذق بدل البقول الفستق.

﴿بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ﴾.

إضراب عن إقرارهم بحفظ الرحمن لهم لكفرهم وعنادهم وعدم استجابتهم، لبيان إعراضهم عن ذكر الله تعالى، فهم عن إقرارهم بحفظه تعالى لهم أبعد وأشد إعراضًا.

﴿أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنا لا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ﴾.

اضراب ثان بـ (أم) المنقطعة التي هي أخت (بل) والسؤال للتقريع؛ لأنهم ظنوا أن تلك الأوثان تجلب لهم خيرًا، وتدفع عنهم ضرًّا، وهم لا يملكون لأنفسهم نفعًا ولا ضرًا.

﴿وَلا هُمْ مِنَّا يُصْحَبُونَ﴾. أي: ولا هم يجارون من عذابنا، وفيه إبطال لألوهية تلك الأوثان؛ فإنَّ مَن لا يقدر على نصر نفسه ولا يملك حفظها كيف ينصرُ غيرَه ويحفظه؟

﴿بَلْ مَتَّعْنا هؤُلاءِ وَآباءَهُمْ حَتَّى طالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ﴾.

بل للإضراب الانتقالي والمعنى: ليس لهم آلهةٌ تمنعهم من دوننا ولا جار يُجيرهم من عذابنا حال بينهم وبين الإيمان، لكنْ متَّعناهم وآباءهم بالحياة الدنيا وبسَطنا لهم في أسباب العيش،

فطال عليهم العمر فألِفوا الرخاء والدَّعَةَ، فقست قلوبهم، فلما جاءهم مَن يدعوهم إلى الإيمان وترك ما ألِفوه استثقلوا تركَ ما هم عليه وظنوا أنَّ ما هم فيه لا يزول عنهم، وحملهم على الكفر.

﴿أَفَلا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُها مِنْ أَطْرافِها أَفَهُمُ الْغالِبُونَ﴾.

يقول الله تعالى: أفلا يعتبر هؤلاء المكذبين بما آل إليه أمر من كفر بالله من القرى المجاورة لهم، والأمم المكذبة، من أسباب الهلاك وتمكين المؤمنين من رقابهم، وأرضهم؟

ومما يدل على ذلك تذييل الآية بقوله تعالى: ﴿أَفَهُمُ الْغالِبُونَ﴾، يعني: أم نحن الغالبون؟

وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَى وَصَرَّفْنَا الآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾.[1]

﴿قُلْ إِنَّمَا أُنْذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنْذَرُونَ (٤٥) وَلَئِنْ مَسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ (٤٦) وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ (٤٦)﴾.

يقولُ الله تعالى لرسوله محمدٍ صلى الله عليه وسلم: قلْ يا محمدُ لهؤلاءِ المشركين: إنما أُنذِرُكم بما يُوحِيه الله إليَّ، والأصل أن الإنذار يتعدى إلى مفعولين بنفسه؛ كما في قوله: ﴿فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً﴾ [فصلت: ١٣]، وقوله: ﴿أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا﴾ [النبأ: ٤٠]، وعدي هنا بحرف الجر لتضمنه معنى التخويف، إنما أنذركم مخوفًا لكم بالقرآن عذابَ ربكم، وشدةَ بأسِه.

﴿وَلا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنْذَرُونَ﴾.

---

١ - سورة الأحقاف: الآية/ ٢٧

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لما لم ينتفعوا بسماع القرآن، كانوا كالصم الذين لا يسمعون؛ كما قال تعالى: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٧١]، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُماتِ﴾.[١]

﴿وَلَئِنْ مَسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾.

النفحة هي: الدفعة اليسيرة، يقول الله تعالى: ولئن مس هؤلاء المكذبين الذين يستعجلون عذاب الله تعالى أدنى شيء من عذاب ربك يا محمد لأقرُّوا على أنفسهم بالظلم، ودعوا عليها بالويل والثبور، وعرفوا منة الله عليهم وإحسانه إليهم زمن العافية.

﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾.

الموازين جمع ميزان وهو ما يوزن به الشيء فتعرف كميته، ووَضْعُها إحضارها، وقوله: ﴿الْقِسْطَ﴾؛ ذوات القسط، قال ابن كثير: الأكثر على أنه إنما هو ميزان واحد، وإنما جمع باعتبار تعدد الأعمال الموزونة فيه.[٢]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «كَلِمَتَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ، خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللهِ الْعَظِيمِ».[٣]

﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾.

عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «يُصَاحُ بِرَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ، فَيُنْشَرُ لَهُ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ سِجِلًّا، كُلُّ سِجِلٍّ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ

١ – سورة الأنعام: الآية/ ٣٩

٢ – تفسير ابن كثير (٥/ ٣٤٥)

٣ – رواه البخاري– كتاب الدعوات، باب فضل التسبيح، حديث رقم: ٦٤٠٦، ومسلم– كتاب الذكر، والدعاء، والتوبة، والاستغفار، باب فضل التهليل، والتسبيح، والدعاء، حديث رقم: ٢٦٩٤

يَقُولُ اللَّهُ عز وجل: هَلْ تُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ فَيَقُولُ: لَا، يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَظَلَمَتْكَ كَتَبَتِي الْحَافِظُونَ؟ فَيَقُولُ: لَا، ثُمَّ يَقُولُ: أَلَكَ عُذْرٌ، أَلَكَ حَسَنَةٌ؟ فَيُهَابُ الرَّجُلُ، فَيَقُولُ: لَا، فَيَقُولُ: بَلَى، إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَاتٍ، وَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ، فَتُخْرَجُ لَهُ بِطَاقَةٌ فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، قَالَ: فَيَقُولُ: يَا رَبِّ مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ، مَعَ هَذِهِ السِّجِلَّاتِ؟ فَيَقُولُ: إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ، فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كِفَّةٍ، وَالْبِطَاقَةُ فِي كِفَّةٍ، فَطَاشَتِ السِّجِلَّاتُ، وَثَقُلَتِ الْبِطَاقَةُ».[1]

﴿فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا﴾.

أي: فلا يُنقص شيءٌ من أعمالها ولو كان حقيرًا، ولا يُحمل عليها ذنبُ غيرِها.

﴿وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا﴾.

في الكلام حذف اختصار تقديره: وإن كان عمل العامل بقدر حبة الخردل من الحسنات، أو بقدرها من السيئات أحضرناها يوم القيامة وجئنا بها.

﴿وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾.

أَي: وكفى بنا محاسبين؛ لأنه لا أحد أعلم منا بأعمال العباد صالحها، وطالحها، حسنها، وسيئها.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنا مُوسى وَهارُونَ الْفُرْقانَ وَضِياءً وَذِكْراً لِلْمُتَّقِينَ (٤٨) الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ (٤٩) وَهذا ذِكْرٌ مُبارَكٌ أَنْزَلْناهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ (٥٠)﴾.

١ – رواه أحمد– حديث رقم: ٦٩٩٤، والترمذي– أبواب الإيمان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء فِيمنْ يموتُ وهو يَشْهدُ أن لا إلهَ إلَّا اللهُ، حديث رقم: ٢٨٢٩، وابن ماجه– كتاب الزهد، باب ما يرجى من رحمة الله يوم القيامة، حديث رقم: ٤٣٠٠، والحاكم– كتاب الإيمان، حديث رقم: ٩، بسند صحيح

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يخبر الله تعالى: أنه آتَى موسى وأخاه هارونَ ﴿الْفُرْقانَ وَضِياءً وَذِكْراً لِلْمُتَّقِينَ﴾، أي: التَّوراة فهي فرقانٌ بينَ الحقِّ والباطل، وضياءٌ يُستضاءُ به وذِكرٌ يتعظون بما فيه من عظات.

والعطف في الآية عطف للصفات فالضياء والذكر من صفات التوراة؛ كما في قوله: ﴿وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا﴾.[1]

قال مجاهد: ﴿الْفُرْقانَ﴾، يعني: الكتاب.

وقال قَتَادة: الفرقانُ التوراةُ، حلالُها وحرامُها، وما فرَق اللَّهُ بينَ الحقِّ والباطل.

﴿الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ﴾.

هذا وصف المتقين؛ أي: الذين يخافون الله تعالى ولم يروه.

وقيل: الذين يخافون الله تعالى في خلواتهم حين يغيبون عن أعين الناس.

﴿وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ﴾.

أي: وهم من أهوال الساعة حذِرون، لخوفهم من الله تعالى لتقصيرهم في حقه.

﴿وَهذا ذِكْرٌ مُبارَكٌ أَنْزَلْناهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ﴾.

وهذا إشارة إلى القرآن، ﴿ذِكْرٌ مُبارَكٌ﴾، كثير الخير، عظيم البركة، من اعتصم به هدي إلى صراط مستقيم.

﴿أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ﴾.

سؤال الغرض منه التوبيخ والتقريع، أي: أفأنتم جاحدون أنه منزلٌ من عند الله تعالى.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنا إِبْراهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عالِمِينَ (٥١) إِذْ قالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هذِهِ التَّماثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَها عاكِفُونَ (٥٢) قالُوا وَجَدْنا آباءَنا لَها عابِدِينَ (٥٣) قالَ لَقَدْ كُنْتُمْ

---

١ - سورة آل عمران: الآية/ ٣٩

أَنْتُمْ وَآباؤُكُمْ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ (٥٤) قالُوا أَجِئْتَنا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ (٥٥) قالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلى ذلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ (٥٦)﴾.

يقول الله تعالى: ولقد ألهمنا إبراهيم رشده، وعصمناه من عبادة الأوثان حال صباه، وقيل المراد بذلك النبوة.

﴿وَكُنَّا بِهِ عالِمِينَ﴾.

بأنه أهلٌ لما آتيناه.

﴿إِذْ قالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هذِهِ التَّماثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَها عاكِفُونَ﴾.

هذا تفسير للرشد الذي آتاه الله إياه، وهو إنكاره على أبيه وقومه عبادة الأصنام من دون الله تعالى، وسؤاله سؤال تقريع وتوبيخ لهم على عبادتهم تلك الأوثان، ﴿أَنْتُمْ لَها عاكِفُونَ﴾، معتكفون عندها ملازمون لها.

﴿قالُوا وَجَدْنا آباءَنا لَها عابِدِينَ﴾.

قالوا وجدنا آباءنا يعبدونها، فنحن نقتدي بهم ونعبدها كما كانوا يعبدونها.

﴿قالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآباؤُكُمْ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾.

قال: لقد ضل آباؤكم عن الصراط المستقيم، والدين القويم، حين عبدوا تلك الأوثان التي لا تسمع ولا تبصر، ولا تغني عن عابديها شيئًا، وكنتم أنتم في ضلال مبين لتقليكم آباءكم.

﴿قالُوا أَجِئْتَنا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ﴾.

لما سفه أحلامهم، وضلل آباءهم، واحتقر آلهتهم، قالوا له: هذا الذي تقوله ما قاله لنا أحد قبلك، فهل أنت محقٌ فيما تقول أو أنت من الذين يمزحون ويلعبون.

﴿قالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ﴾.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قال لست من اللاعبين، بل ربكم المستحق للعبادة هو الذي خلقكم وهو الذي خلق السماوات والأرض وأنشأهن من العدم.

﴿وَأَنَا عَلى ذلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾.

وأنا أشهد أنه لا معبود بحق سواه، كما شهد بذلك المؤمنون الموحدون قبلي.

﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ﴾. قال المفسرون كان لقوم إبراهيم يوم عيد يحتفلون فيه، فقالوا لإبراهيم لو خرجت معنا إلى عيدنا أعجبك ديننا، فَقَالَ: لَا، إِنِّي سقيم، وأبى أن يخرج معهم وأقسم أن يكيد أصنامهم إذا انطلقوا إلى عيدهم، والكيد إيصال الضر بطريق خفي.

قال مجاهد وقتادة: لم يسمع هذا القول من إبراهيم إلا رجل واحد، وهو الذي أفشاه عليه.[1]

﴿فَجَعَلَهُمْ جُذاذاً إِلَّا كَبِيراً لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾.

فلما انطلقوا إلى عيدهم دخل إبراهيم عليه السلام على أوثانهم وقد قربوا لها القرابين، ﴿فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾. فلما لم تُجِبْه، قال: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ (٩٢) فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ﴾ [الصافات: ٩١ - ٩٣]، فجعل يحطم أصنامهم حتى جعلها قطعًا، والجَذُّ: القطع والكسر للشيء الصلب، إلا الصنم الأكبر علق الفأس في عنقه.

﴿لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾. أي: لعلهم يرجعون إلى كبيرهم فيسألونه عمن كسرها فيتبين لهم عجزه، وبطلان عبادتها.

وقيل: لعلهم يعتقدون أنه هو الذي غَارَ لنفسه، وأنف أن تعبد معه هذه الأصنام الصغار، فكسرها، ويكون ذلك سببًا في بطلان عبادة الأوثان.

﴿قالُوا مَنْ فَعَلَ هَذا بِآلِهَتِنا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ (٥٩) قالُوا سَمِعْنا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقالُ لَهُ إِبْراهِيمُ (٦٠) قالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ (٦١) قالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ

١ - التفسير البسيط (١٥/ ١٠٥)

هَذَا بِآلِهَتِنا يَا إِبْراهِيمُ (٦٢) قالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هذا فَسْئَلُوهُمْ إِنْ كانُوا يَنْطِقُونَ (٦٣) فَرَجَعُوا إِلى أَنْفُسِهِمْ فَقالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ (٦٤) ثُمَّ نُكِسُوا عَلى رُؤُسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هؤُلاءِ يَنْطِقُونَ (٦٥) قالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنْفَعُكُمْ شَيْئاً وَلا يَضُرُّكُمْ (٦٦) أُفٍّ لَكُمْ وَلِما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ (٦٧)﴾.

في الكلام حذف اختصار تقديره فلما رجع قوم إبراهيم من عيدهم ورأوا أصنامهم قد تحطمت وصارت جذاذًا، قالوا مستفهمين: ﴿مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنا﴾، ثم قالوا منكرين عليه فعله: ﴿إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾؛ لأنهم رأوا أنه تعدى على آلهتهم.

﴿قالُوا سَمِعْنا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقالُ لَهُ إِبْراهِيمُ﴾.

أي: بعض من سمع إبراهيم يقول: ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ﴾، قال أنا سمعته يذكرهم بالعيب فيهم، والاحتقار لهم.

﴿قالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾.

أي: قالوا فأتوا بالذي يقال له إبراهيم على مرأى من الناس، ليشفوا غيظهم منه، وليكون عبرة للمعتبرين.

﴿قالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنا يَا إِبْراهِيمُ﴾.

في الكلام إيجاز بالحذف تقديره: فأحضَروه فقالوا له: أأنت فعلتَ هذا بآلهتنا يا إبراهيم؟ على وجه الإنكار، وقيل: أرادوا التثبت منه، بالإقرار بالفعل.

﴿قالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هذا فَسْئَلُوهُمْ إِنْ كانُوا يَنْطِقُونَ﴾.

قال: بل فعله كبيرهم هذا الذي لم يصبه ما أصابهم، والفأس على كتفه، أنفة منه أن يعبدوا معه، ﴿فَسْئَلُوهُمْ إِنْ كانُوا يَنْطِقُونَ﴾، أراد أن يستفيقوا من غفلتهم، ويعلموا أنها لا تستحق العبادة، فإنها لا تنطق.

﴿فَرَجَعُوا إِلى أَنْفُسِهِمْ فَقالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ﴾.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أي: فتفكروا في قوله فرَجَعوا إلى عُقُولِهم، ونظَر بعضُهم إلى بعضٍ، فقالوا: إنكم أنتم الظالمون بعبادة من لا يسمع ولا يتكلم، قال ابن عباس: حيث يعُبد من لا يتكلم.

قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ نُكِسُوا عَلى رُؤُسِهِمْ﴾.

لما بدا لهم الحق، ولاح لهم نوره، وأقروا على أنفسهم بالظلم، وأنها أوثان لا تستحق العبادة، ﴿ثُمَّ نُكِسُوا عَلى رُؤُسِهِمْ﴾، أي: ارتدوا على أدبارهم، وعادوا إلى ما هم فيه من الكفر، ونكسوا على رؤسهم، قال ابن شُمَيل نكست فلانًا في ذلك الأمر، أي رددته فيه بعد ما خرج.

﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هؤُلاءِ يَنْطِقُونَ﴾.

أي: فعلوا ذلك قائلين لإبراهيم: لقد علمت أن هؤلاء الآلهة لا ينطقون.

﴿قالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنْفَعُكُمْ شَيْئاً وَلا يَضُرُّكُمْ﴾.

حين قالوا ذلك أقروا بعجز تلك الأوثان وهذا ما أراده إبراهيم فقال لهم: ﴿أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنْفَعُكُمْ شَيْئاً وَلا يَضُرُّكُمْ﴾، أي: إذا كانت لا تنطق، فهي لا تضر ولا تنفع، وإذا كانت كذلك فكيف تعبدونها، فإن من يعجز عن النطق فهو عن النفع والضر أشد عجزًا، وقوله: ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾، احتراس عن النهي عن عبادة الله تعالى.

﴿أُفٍّ لَكُمْ وَلِما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾.

التأفف: صوت يدل على التضجر، لإصرارهم على الباطل بعد انقطاع عذرهم، ووضوح الحقِّ، وقوله: ﴿أُفٍّ لَكُمْ وَلِما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾، بيان أن التأفف لهم لفساد اعتقادهم، وشدة عنادهم، ولأوثانهم التي لا تضر ولا تنفع.

﴿أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾.

استفهام إنكاري، لفساد عقولهم وقلة تدبرهم.

﴿قالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فاعِلِينَ (٦٨) قُلْنا يَا نارُ كُونِي بَرْداً وَسَلاماً عَلى إِبْراهِيمَ (٦٩) وَأَرادُوا بِهِ كَيْداً فَجَعَلْناهُمُ الْأَخْسَرِينَ (٧٠) وَنَجَّيْناهُ وَلُوطاً إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بارَكْنا فِيها لِلْعالَمِينَ (٧١) وَوَهَبْنا لَهُ إِسْحاقَ وَيَعْقُوبَ نافِلَةً وَكُلاًّ جَعَلْنا صالِحِينَ (٧٢) وَجَعَلْناهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنا وَأَوْحَيْنا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْراتِ وَإِقامَ الصَّلاةِ وَإِيتاءَ الزَّكاةِ وَكانُوا لَنا عابِدِينَ (٧٣)﴾.

أي: قال قوم إبراهيم بعضهم لبعض: حرقوا إبراهيم بالنار، وذلك حتى انقطعت حجتهم، وتحيروا في الجواب، شأنهم شأن كل جبار عنيد إذا أعيته الحجة قابل خصمه بالقتل والتعذيب، وقالوا: حرقوه لأن العذاب بالنار أشد أنواع العذاب.

﴿وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فاعِلِينَ﴾.

بالانتقام لها إن كنتم لها ناصرين، فبَنَوا له بُنيانًا، كما قال تعالى: ﴿قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٩٧]، وجمعوا حطبًا كثيرًا، قال السدي: حتى إن كانت المرأة تمرض، فتنذر إن عوفيت أن تحمل حطبًا لحريق إبراهيم، ثم أضرموا فيه النار، فكان لها شرر عظيم ولهب مرتفع، لم توقد قط نار مثلها، وجعلوا إبراهيم، عليه السلام، في كفة المنجنيق ليرموا به في النار فأتاه جبريل عليه السلام، فقال له ألك حاجة؟ فقال إبراهيم حسبنا الله ونعم الوكيل؛ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: «﴿حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾، قَالَهَا إِبْرَاهِيمُ عليه السلام حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَقَالَهَا مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وسلم حِينَ قَالُوا: ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾».[1]

﴿قُلْنا يَا نارُ كُونِي بَرْداً وَسَلاماً عَلى إِبْراهِيمَ﴾.

ناداها الله تعالى فقال: ﴿قُلْنا يَا نارُ كُونِي بَرْداً وَسَلاماً عَلى إِبْراهِيمَ﴾، وقيل: الذي ناداها جبريلُ عليه السلام هو الذي ناداها.

١ – رواه البخاري– كتاب التفسير، باب: سورة آل عمران، ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ﴾. الآية، حديث رقم: ٤٥٦٣

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وروي: أنَّهم وضعوه في المنجنيق مغلولاً ورموه في نارٍ عظيمة، فلم يحترق منه إلَّا وثاقه.

قال ابن عباس، وأبو العالية: لولا أن الله عز وجل قال: ﴿وَسَلاماً﴾. لآذى إبراهيم بَرْدُها.

﴿وَأَرادُوا بِهِ كَيْداً فَجَعَلْناهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾.

أي: أرادوا به إحراقًا، فجعل الله النار آية على صدقه، وصحة معتقده، وسببًا لارتفاع منزلته، وبرهانًا على فساد معتقدهم، واستحقاقهم للعذاب الأليم.

﴿وَنَجَّيْناهُ وَلُوطاً إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بارَكْنا فِيها لِلْعالَمِينَ﴾.

نجاه الله تعالى ولوطًا من الكفار وأرض الكفر إلى أرض فلسطين، وبارك الله فيها بالخصب وكثرة الأنهار والأشجار، وجعلها مهبط الوحي، وبعث فيها أكثر الأنبياء.

﴿وَوَهَبْنا لَهُ إِسْحاقَ وَيَعْقُوبَ نافِلَةً وَكُلاًّ جَعَلْنا صالِحِينَ (٧٢) وَجَعَلْناهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنا وَأَوْحَيْنا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْراتِ وَإِقامَ الصَّلاةِ وَإِيتاءَ الزَّكاةِ وَكانُوا لَنا عابِدِينَ (٧٣)﴾.

يقولُ الله تعالى: ووَهَبْنا لإبراهيمَ إسحاق ولدًا، ويعقوبَ ولدَ ولدِه، نافلةً له، والنافلة الزيادة: وذلك لأنه دعا فأعطاه الله إسحاق، ثم زاده يعقوب فهو نافلة.

﴿وَجَعَلْناهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنا﴾.

أي: وجعلناهم أئمة يؤتمُّ بهم، يرشدون العباد الحق بأمرنا إياهم به.

﴿وَأَوْحَيْنا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْراتِ وَإِقامَ الصَّلاةِ وَإِيتاءَ الزَّكاةِ﴾.

أي: وأوحينا إليهم أن افعلوا الخيرات وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة، وذكر الصلاة والزكاة بعد الأمر بفعل الخيرات من باب عطف الخاص على العام.

﴿وَكانُوا لَنا عابِدِينَ﴾.

أي: وكانوا لنا مطيعين موحدين.

﴿وَلُوطاً آتَيْناهُ حُكْماً وَعِلْماً وَنَجَّيْناهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كانَتْ تَعْمَلُ الْخَبائِثَ إِنَّهُمْ كانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فاسِقِينَ (٧٤) وَأَدْخَلْناهُ فِي رَحْمَتِنا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ (٧٥) وَنُوحاً إِذْ نادى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنا لَهُ فَنَجَّيْناهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ (٧٦) وَنَصَرْناهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا إِنَّهُمْ كانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْناهُمْ أَجْمَعِينَ (٧٧)﴾.

لما قص الله تعالى نبأ إبراهيم مع قومه، عطف عليه نبأ لوطٍ، فأخبر أنه أعطاه حكمًا قيل: وهو فعلُ ما ينبغي فعلُه، وقيل: المراد به النبوَّة، وقيل: المراد الفصل بين الخصوم، والحكم بين الناس، ﴿وَعِلْماً﴾، أي: بما ينبغي علمُه للأنبياء عليهم السلام.

﴿وَنَجَّيْناهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كانَتْ تَعْمَلُ الْخَبائِثَ﴾.

أي: من أهل القرية، وهي سدوم وأعمالها، والمراد بالخبائث إتيانُ الذُّكران دون النساء، وفعل المنكرات.

﴿إِنَّهُمْ كانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فاسِقِينَ﴾.

أي: كانوا فجَّارًا خارِجين عن طاعة الله تعالى، بيان للعلة التي من أجلها نجاه الله من تلك القرية؛ فإن للبيئة تأثيرًا في طبيعة الإنسان وسلوكه.

﴿وَأَدْخَلْناهُ فِي رَحْمَتِنا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾.

أي: وأدخلناه في زمرة أهل رحمتنا، وقيل: المراد بالرحمة الجنة، لما كان عليه من الصلاح.

﴿وَنُوحاً إِذْ نادى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنا لَهُ فَنَجَّيْناهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾.

أي: واذكُرْ يا محمدُ نوحًا إذ دعا ربَّه مِن قبلِك، ومِن قبلِ إبراهيمَ ولوطٍ، أن ينجيه الله تعالى ومن آمن معه، وأن يهلك قومه لكفرهم وعنادهم، فاستجبنا له ونجيناه ومن معه من الغرق.

﴿وَنَصَرْناهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا إِنَّهُمْ كانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْناهُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

والأصل أن نصر يتعدى بـ (على)، وتعدى هنا بـ (من)؛ لأنه ضمن معنى المنع؛ أي: ومَنَعْناهُ من القوم الذين كذَّبوا بآياتنا أن يصلوا إليه بسوء.

﴿وَداوُدَ وَسُلَيْمانَ إِذْ يَحْكُمانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شاهِدِينَ (٧٨) فَفَهَّمْناها سُلَيْمانَ وَكُلاًّ آتَيْنا حُكْماً وَعِلْماً وَسَخَّرْنا مَعَ داوُدَ الْجِبالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فاعِلِينَ (٧٩) وَعَلَّمْناهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شاكِرُونَ (٨٠) وَلِسُلَيْمانَ الرِّيحَ عاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلى الْأَرْضِ الَّتِي بارَكْنا فِيها وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عالِمِينَ (٨١) وَمِنَ الشَّياطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلاً دُونَ ذلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حافِظِينَ (٨٢)﴾.

في الكلام حذف اختصار تقديره: واذكُر يا محمدُ داودَ وسليمانَ إذ يَحكُمان في الحرثِ إذ نفشت فيه غنم القوم.

قال أكثر المفسرين: كان ذلك الحرث كرمًا قد نَبَتَتْ عناقيده.

وقال ابن السكيت: النَّفْشُ: أن تنتشر الغنم بالليل ترعى بلا راعٍ.

وأصل النفش: التفرق؛ قال قطربٌ: ﴿نَفَشَتْ﴾: إذا تفرَّقت بلا راعٍ، ومنه: (العِهْن المنفوش)؛ أي: المتفرِّق.

روى ابن جرير عن ابن مسعود في قولِه: ﴿وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ﴾، قال: كَرْمٌ قد أنبتَت عناقيدُه فأفسَدته. قال: فقضَى داودُ بالغنمِ لصاحبِ الكرْمِ، فقال سليمانُ: غير هذا يا نبيَّ اللهِ. قال: وما ذاكَ؟ قال: يُدفَعُ الكرْمُ إلى صاحبِ الغنمِ، فيقومُ عليه حتى يعودَ كما كان، وتُدفَعُ الغنمُ إلى صاحبِ الكرْمِ فيُصيبُ منها، حتى إذا كان الكرْمُ كما كان، دفَعتَ الكرمَ إلى صاحبِه، ودفَعتَ الغنمَ إلى صاحبِها.[1]

١ - تفسير الطبري (١٦/ ٣٢٢)

وعن ابن عباس قال: حكم داود بالغنم لأصحاب الحرث، فخرج الرِّعاء معهم الكلاب، فقال لهم سليمان: كيف قضى بينكم؟

فأخبروه، فقال: لو وليت أمركم لقضيتُ بغير هذا! فأخبر بذلك داود، فدعاه فقال: كيف تقضي بينهم؟ قال أدفع الغنم إلى صاحب الحرث، فيكون له أولادها وألبانها وسلاؤها ومنافعها ويبذُر أصحاب الغنم لأهل الحرث مثلَ حرثهم، فإذا بلغ الحرث الذي كان عليه أخذ أصحاب الحرث الحرثَ وردوا الغنم إلى أصحابها.[1]

﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شاهِدِينَ﴾.

أي: كان ذلك بعلمنا وبمرأى منا، قال ابن عباس: يريد لم يغب عني من أمرهم شيئًا.

وقال الفراء: جمع اثنين فقال ﴿لِحُكْمِهِمْ﴾. وهو يريد داود وسليمان؛ لأن الاثنين جمع.

وقيل: أرادهما والمتحاكمين إليهما؛ لأن الحكم لا ينفك عن تعلقه بمحكوم له وعليه.

قال الحسن: لولا هذه الآية لرأيت أن الحكام قد هلكوا. ولكن الله حمد هذا لصوابه، وأثنى على هذا باجتهاده.[2]

﴿فَفَهَّمْناها سُلَيْمانَ وَكُلاًّ آتَيْنا حُكْماً وَعِلْماً وَسَخَّرْنا مَعَ داوُدَ الْجِبالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فاعِلِينَ (٧٩) وَعَلَّمْناهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شاكِرُونَ (٨٠)﴾.

يخبر الله تعالى أنه فهم سليمان تلك القضية، وكان داود عليه السلام قد حكم بالغنم لصاحب الحرث، فقال سليمان عليه السلام: غير هذا أرفق بالفريقَيْن، وأمر بدفع الغنم إلى صاحب الحرث، فيكون له أولادها وألبانها وسلاؤها ومنافعها وأمر أن يبذُر أصحاب الغنم لأهل الحرث مثلَ حرثهم، فإذا بلغ الحرث الذي كان عليه أخذ أصحاب الحرث الحرثَ وردوا

١ - تفسير الطبري (١٦/ ٣٢٣)

٢ - تفسير الإمام الشافعي (٣/ ١٠٧٤)

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الغنم إلى أصحابها، وكان ذلك باجتهاد منهما، ولكن الله تعالى خص سليمان بفهم تلك القضية.

﴿وَكُلاًّ آتَيْنا حُكْماً وَعِلْماً﴾.

أي: وكلًّا من داود وسليمان والرسلِ الذين تقدم ذكرهم أعطينا ﴿حُكْماً﴾؛ أي: النبوة التي يُنفَّذ بها الحكمُ على الأمة، ﴿وَعِلْماً﴾. أي: ومعرفةً بمُوجِبِ الحكم.

﴿وَسَخَّرْنا مَعَ داوُدَ الْجِبالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فاعِلِينَ﴾.

ولما أخبر تعالَى: أنه خص سليمان بفهم تلك القضية، أخبر هنا أن خص داود بجملة من الخصائص منها انه تعالى سخَّرَ مع داودَ الجبالَ والطيرَ يُسبِّحنَ معه إذا هو سَبَّح، وذلك لجمال صوته، فكانت الجبال والطير تجاوبه بالتسبيح إذا سبح، ﴿وَكُنَّا فاعِلِينَ﴾، يعني أي: وما كان ذلك اتفاقًا وإنما كان بأمر بالله وتقديره وفعله بأنبيائه ورسله.

﴿وَعَلَّمْناهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ﴾.

أي: وعلمنا داود صناعة الدروع، واللَّبوسُ: اللِّباسُ، والمراد الدِّرع، تلبسونها لتقيكم بأسكم، وذلك بإلآنة الحديد؛ كما قال تعالى: ﴿وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ﴾ [سبأ: ١٠]، وقوله تعالى: ﴿أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ﴾ [سبأ: ١١]، وقيل: هو أولُ مَن عمِلها.

﴿لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شاكِرُونَ﴾.

لتكون حصنًا ومنعة لكم في حروبكم من ضربات السيوف، وطعن الرماح ورمي السهام، فهلا شكرتم الله على نعمه الجليلة؟

﴿وَلِسُلَيْمانَ الرِّيحَ عاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلى الْأَرْضِ الَّتِي بارَكْنا فِيها وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عالِمِينَ (٨١) وَمِنَ الشَّياطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلاً دُونَ ذلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حافِظِينَ (٨٢)﴾.

يخبر الله تعالى أنه سخر لسليمان الريح عاصفة، والريح العاصفة هي شديدة الهبوب، ومع شدة هبوبها تسير سيرًا لينا؛ كما قال تعالى: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً﴾ [ص: ٣٦]؛ أي: ليّنةً، فاجتمع فيها الوصفان في حالٍ واحدة.

﴿تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلى الْأَرْضِ الَّتِي بارَكْنا فِيها﴾.

تجري بأمر سليمان، إلى الشام وكان بها منزله، فكانت تحمله من الشام إلى نواحي الأرض، ومنها إلى الشام، فتقطع مسيرة شهر في غدوة وروحة؛ كما قال تعالى: ﴿غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ﴾ [سبأ: ١٢]، وخص هنا ذكر الرواح، لأنه يدلُّ على الغدو والانتقال منها إلى غيرها.

﴿وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عالِمِينَ﴾.

فعلنا ذلك بعلم تام لحكمة بالغة.

﴿وَمِنَ الشَّياطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ﴾.

في الكلام حذف اختصار تقديره: وسخَّرنا لسليمانَ من الشياطينِ من يَغوصونَ له في قاع البحرِ، لاستخراج الدّرّ والجواهر.

﴿وَيَعْمَلُونَ عَمَلاً دُونَ ذلِكَ﴾.

ويعملون غير ذلك من الأعمال، كالبنيان والخدمة؛ كما قال تعالى: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشاءُ مِنْ مَحارِيبَ وَتَماثِيلَ وَجِفانٍ كَالْجَوابِ وَقُدُورٍ راسِياتٍ﴾ [سبأ: ١٣]، وقال تعالى: ﴿وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ (٣٧) وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾.[١]

﴿وَكُنَّا لَهُمْ حافِظِينَ﴾.

حتى لا يخرجوا عن أمره، أو يناله أحد منهم بسوء.

---

١ - سورة ص: الآية/ ٣٧، ٣٨

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (٨٣) فَاسْتَجَبْنا لَهُ فَكَشَفْنا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْناهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنا وَذِكْرى لِلْعابِدِينَ (٨٤)﴾.

في الكلام حذف اختصار تقديره: واذكُرْ يا محمدُ أيوبَ إذ نادَى رَبَّه وقد مسَّه الضرُّ، واستمر به البلاء ثمانية عشر عامًا، فنادى ربه تعالى: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ﴾، أي: أصابني البلاء في بدني، وأهلي ومالي، ﴿وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾، فلا أرحم منك فارحمني واكشِفْ عني ما مسني من الضرِّ، وفي دعائه تلطف في السؤال، حيث وصف ربَّه بغاية الرَّحمة، بعدما وصفَ نفسَه بما يوجبها، ولم يزد على ذلك تأدبًا مع الله تعالى.

﴿فَاسْتَجَبْنا لَهُ فَكَشَفْنا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ﴾.

الفاء للترتيب مع التعقيب، استجاب الله تعالى له وكشف ما به من الضر والبلاء.

﴿وَآتَيْناهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنا﴾.

وآتاه الله تعالى الذين فقدهم، قال ابن عباس: ردوا عليه بأعيانهم.

وآتاه الله مثلهم معهم رحمة به اختصه الله تعالى بها على صبره على البلاء.

﴿وَذِكْرى لِلْعابِدِينَ﴾. أي: تذكرة لغيره من العابدين، أنه لا يضيع أولياءه.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ أَيُّوبَ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَبِثَ فِي بَلَائِهِ ثَمَانِيَ عَشْرَةَ سَنَةً، فَرَفَضَهُ الْقَرِيبُ وَالْبَعِيدُ إِلَّا رَجُلَيْنِ مِنْ إِخْوَانِهِ كَانَا مِنْ أَخَصِّ إِخْوَانِهِ، كَانَا يَغْدُوَانِ إِلَيْهِ وَيَرُوحَانِ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: تَعْلَمُ وَاللَّهِ لَقَدْ أَذْنَبَ أَيُّوبُ ذَنْبًا مَا أَذْنَبَهُ أَحَدٌ مِنَ الْعَالَمِينَ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ: وَمَا ذَاكَ؟ قَالَ: مُنْذُ ثَمَانِيَ عَشْرَةَ سَنَةً لَمْ يَرْحَمْهُ اللَّهُ، فَيَكْشِفُ مَا بِهِ، فَلَمَّا رَاحَ إِلَيْهِ لَمْ يَصْبِرِ الرَّجُلُ حَتَّى ذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ أَيُّوبُ: لَا أَدْرِي مَا تَقُولُ غَيْرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ أَنِّي كُنْتُ أَمُرُّ عَلَى الرَّجُلَيْنِ يَتَنَازَعَانِ فَيَذْكُرَانِ اللَّهَ، فَأَرْجِعُ إِلَى بَيْتِي فَأُكَفِّرُ عَنْهُمَا كَرَاهِيَةَ أَنْ يُذْكَرَ اللَّهُ إِلَّا فِي حَقٍّ قَالَ: وَكَانَ يَخْرُجُ إِلَى حَاجَتِهِ، فَإِذَا قَضَى حَاجَتَهُ أَمْسَكَتِ امْرَأَتُهُ بِيَدِهِ فَلَمَّا كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ، أَبْطَأَ عَلَيْهَا، فَأَوْحَى اللَّهُ

إِلَى أَيُّوبَ فِي مَكَانِهِ: ﴿ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ فَاسْتَبْطَأَتْهُ فَبَلَغَتْهُ، فَأَقْبَلَ عَلَيْهَا قَدْ أَذْهِبَ اللَّهُ مَا بِهِ مِنَ الْبَلَاءِ فَهُوَ أَحْسَنُ مَا كَانَ، فَلَمَّا رَأَتْهُ قَالَتْ: أَيْ بَارِكَ اللَّهُ فِيكَ، هَلْ رَأَيْتَ نَبِيَّ اللَّهِ هَذَا الْمُبْتَلَى، وَاللَّهِ عَلَى ذَلِكَ مَا رَأَيْتُ أَحَدًا كَانَ أَشْبَهَ بِهِ مِنْكَ إِذْ كَانَ صَحِيحًا قَالَ: فَإِنِّي أَنَا هُوَ، وَكَانَ لَهُ أَنْدَرَانِ: أَنْدَرُ الْقَمْحِ، وَأَنْدَرُ الشَّعِيرِ، فَبَعَثَ اللَّهُ سَحَابَتَيْنِ، فَلَمَّا كَانَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى أَنْدَرِ الْقَمْحِ، أَفْرَغَتْ فِيهِ الذَّهَبَ حَتَّى فَاضَ، وَأَفْرَغَتِ الْأُخْرَى عَلَى أَنْدَرِ الشَّعِيرِ الْوَرِقَ حَتَّى فَاضَ».[1]

﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (٨٣) فَاسْتَجَبْنا لَهُ فَكَشَفْنا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْناهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنا وَذِكْرى لِلْعابِدِينَ (٨٤) وَإِسْماعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ (٨٥) وَأَدْخَلْناهُمْ فِي رَحْمَتِنا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ (٨٦)﴾.

في الكلام حذف اختصار تقديره: واذكُرْ يا محمدُ أيوبَ إذ نادَى رَبَّه وقد مسَّه الضرُّ، واستمر به البلاء ثمانية عشر عامًا، فنادى ربه تعالى: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ﴾، أي: أصابني البلاء في بدني، وأهلي ومالي، ﴿وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾، فلا أرحم منك فارحمني واكشِفْ عني ما مسني من الضرِّ، وفي دعائه تلطف في السؤال، حيث وصف ربَّه بغاية الرَّحمة، بعدما وصفَ نفسَه بما يوجبها، ولم يزد على ذلك تأدبًا مع الله تعالى.

﴿فَاسْتَجَبْنا لَهُ فَكَشَفْنا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ﴾.

الفاء للترتيب مع التعقيب، استجاب الله تعالى له وكشف ما به من الضر والبلاء.

﴿وَآتَيْناهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنا﴾.

---

١ – رواه ابن حبان– كِتَابُ الْجَنَائِزِ وَمَا يَتَعَلَّقُ بِهَا مُقَدَّمًا أَوْ مُؤَخَّرًا، ذِكْرُ الْخَبَرِ الدَّالِّ عَلَى مَنِ امْتُحِنَ بِمِحْنَةٍ فِي الدُّنْيَا فَيَلْقَاهَا بِالصَّبْرِ وَالشُّكْرِ يُرْجَى لَهُ زَوَالُهَا عَنْهُ فِي الدُّنْيَا مَعَ مَا يُدَّخَرُ لَهُ مِنَ الثَّوَابِ فِي الْعُقْبَى، حديث رقم: ٢٨٩٨، والحاكم– كِتَابُ تَوَارِيخِ الْمُتَقَدِّمِينَ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، ذِكْرُ أَيُّوبَ بْنِ أَمُوصَ نَبِيِّ اللَّهِ الْمُبْتَلَى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حديث رقم: ٤١١٥، وصححه، والبزار– حديث رقم: ٦٣٣٣، وأبو يعلى– حديث رقم: ٣٦١٧، وصححه الألباني

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وآتاه الله تعالى الذين فقدهم، قال ابن عباس: ردوا عليه بأعيانهم.

وآتاه الله مثلهم معهم رحمة به اختصه الله تعالى بها على صبره على البلاء.

﴿وَذِكْرى لِلْعابِدِينَ﴾. أي: تذكرة لغيره من العابدين، أنه لا يضيع أولياءه.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ أَيُّوبَ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَبِثَ فِي بَلَائِهِ ثَمَانِيَ عَشْرَةَ سَنَةً، فَرَفَضَهُ الْقَرِيبُ وَالْبَعِيدُ إِلَّا رَجُلَيْنِ مِنْ إِخْوَانِهِ كَانَا مِنْ أَخَصِّ إِخْوَانِهِ، كَانَا يَغْدُوَانِ إِلَيْهِ وَيَرُوحَانِ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: تَعْلَمُ وَاللَّهِ لَقَدْ أَذْنَبَ أَيُّوبُ ذَنْبًا مَا أَذْنَبَهُ أَحَدٌ مِنَ الْعَالَمِينَ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ: وَمَا ذَاكَ؟ قَالَ: مُنْذُ ثَمَانِيَ عَشْرَةَ سَنَةً لَمْ يَرْحَمْهُ اللَّهُ، فَيَكْشِفُ مَا بِهِ، فَلَمَّا رَاحَ إِلَيْهِ لَمْ يَصْبِرِ الرَّجُلُ حَتَّى ذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ أَيُّوبُ: لَا أَدْرِي مَا تَقُولُ غَيْرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ أَنِّي كُنْتُ أَمُرُّ عَلَى الرَّجُلَيْنِ يَتَنَازَعَانِ فَيَذْكُرَانِ اللَّهَ، فَأَرْجِعُ إِلَى بَيْتِي فَأُكَفِّرُ عَنْهُمَا كَرَاهِيَةَ أَنْ يُذْكَرَ اللَّهُ إِلَّا فِي حَقٍّ قَالَ: وَكَانَ يَخْرُجُ إِلَى حَاجَتِهِ، فَإِذَا قَضَى حَاجَتَهُ أَمْسَكَتِ امْرَأَتُهُ بِيَدِهِ فَلَمَّا كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ، أَبْطَأَ عَلَيْهَا، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى أَيُّوبَ فِي مَكَانِهِ: ﴿ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذا مُغْتَسَلٌ بارِدٌ وَشَرابٌ﴾ فَاسْتَبْطَأَتْهُ فَبَلَغَتْهُ، فَأَقْبَلَ عَلَيْهَا قَدْ أَذْهَبَ اللَّهُ مَا بِهِ مِنَ الْبَلَاءِ فَهُوَ أَحْسَنُ مَا كَانَ، فَلَمَّا رَأَتْهُ قَالَتْ: أَيْ بَارَكَ اللَّهُ فِيكَ، هَلْ رَأَيْتَ نَبِيَّ اللَّهِ هَذَا الْمُبْتَلَى، وَاللَّهِ عَلَى ذَلِكَ مَا رَأَيْتُ أَحَدًا كَانَ أَشْبَهَ بِهِ مِنْكَ إِذْ كَانَ صَحِيحًا قَالَ: فَإِنِّي أَنَا هُوَ، وَكَانَ لَهُ أَنْدَرَانِ: أَنْدَرُ الْقَمْحِ، وَأَنْدَرُ الشَّعِيرِ، فَبَعَثَ اللَّهُ سَحَابَتَيْنِ، فَلَمَّا كَانَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى أَنْدَرِ الْقَمْحِ، أَفْرَغَتْ فِيهِ الذَّهَبَ حَتَّى فَاضَ، وَأَفْرَغَتِ الْأُخْرَى عَلَى أَنْدَرِ الشَّعِيرِ الْوَرِقَ حَتَّى فَاضَ».[1]

﴿وَإِسْماعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ﴾.

---

١ - رواه ابن حبان- كِتَابُ الْجَنَائِزِ وَمَا يَتَعَلَّقُ بِهَا مُقَدَّمًا أَوْ مُؤَخَّرًا، ذِكْرُ الْخَبَرِ الدَّالِّ عَلَى مَنِ امْتُحِنَ بِمِحْنَةٍ فِي الدُّنْيَا فَيَلْقَاهَا بِالصَّبْرِ وَالشُّكْرِ يُرْجَى لَهُ زَوَالُهَا عَنْهُ فِي الدُّنْيَا مَعَ مَا يُدَّخَرُ لَهُ مِنَ الثَّوَابِ فِي الْعُقْبَى، حديث رقم: ٢٨٩٨، والحاكم- كِتَابُ تَوَارِيخِ الْمُتَقَدِّمِينَ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، ذِكْرُ أَيُّوبَ بْنِ أَمُوصَ نَبِيِّ اللَّهِ الْمُبْتَلَى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حديث رقم: ٤١١٥، وصححه، والبزار- حديث رقم: ٦٣٣٣، وأبو يعلى- حديث رقم: ٣٦١٧، وصححه الألباني

أي: واذكر إسماعيل وهو ابن إبراهيم عليهما السلام، واذكر إدريس وتقدم الكلام عليهما في سورة مريم، واذكر ذا الكفل وهو أحد الأنبياء بقرينة ذكره مع الأنبياء عليهم السلام، وقيل: ليس نبيًّا، وتوقف ابن جرير في ذلك.

﴿كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾.

ثناء من الله تعالى عليهم بالصبر على الطاعة، وعلى تبليغ رسالة الله تعالى.

﴿وَأَدْخَلْناهُمْ فِي رَحْمَتِنا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾.

قيل المراد بالرحمة النبوة، وقيل: أدخلناهم في رحمتنا في الآخرة.

﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغاضِباً فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنادى فِي الظُّلُماتِ أَنْ لا إِلهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ (٨٧) فَاسْتَجَبْنا لَهُ وَنَجَّيْناهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ (٨٨)﴾.

أي: واذْكُرْ يا محمدُ ذا النونِ، يعنى: صاحبَ النونِ، والنونُ: الحوتُ، وهو يونُسَ بنَ مَتَّى، وكان من شأنه أن الله تعالى بعثه إلى أهل نينوى فكذبوه فخرج من بينهم مغاضبًا لهم لكفرهم بالله وذهب عنهم بغير أمر الله تعالى له، ﴿فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾، فظنَّ أن لن نُعاقِبَه بالتَّضييقِ عليه؛ قال تعالى: ﴿وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ﴾ [الفجر: ١٦]؛ أي: ضَيَّق.

قال ابن عباسٍ: ظَنَّ أَن لن نَقْضِيَ عليه عُقوبةً ولا بلاءً فيما صنَع بقومِه في غضبِه إذ غضِب عليهم.[1]

﴿فَنادى فِي الظُّلُماتِ أَنْ لا إِلهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾.

في الكلام إيجاز دل عليه قوله تعالى في سورة الصافات: ﴿إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ (١٤٠) فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ (١٤١) فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ (١٤٢)﴾. فلما التقمه الحوت نادى في الظلمات المتكاثفة: ظلمةِ الليلِ، وظلمةِ البحرِ، وظلمةِ بطنِ الحوتِ،

١ - تفسير الطبري (١٦/ ٣٧٩)

www.alukah.net
شبكة الألوكة

معترفًا بذنبِه، تائبًا من خطيئتِه قائلًا: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾، و(أن) تفسيرية.

﴿فَاسْتَجَبْنا لَهُ وَنَجَّيْناهُ مِنَ الْغَمِّ﴾.

فاستجبنا له دعاءه، وأخرجناه من بطن الحوت، والغم: ما ناله حين التقمه الحوت.

﴿وَكَذلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾.

أي: وكما نجينا يونس من الغم ننجي المؤمنين؛ عَنْ سَعْدٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «دَعْوَةُ ذِي النُّونِ إِذْ دَعَا وَهُوَ فِي بَطْنِ الحُوتِ: لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَدْعُ بِهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا اسْتَجَابَ اللَّهُ لَهُ».[1]

﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لا تَذَرْنِي فَرْداً وَأَنْتَ خَيْرُ الْوارِثِينَ (٨٩) فَاسْتَجَبْنا لَهُ وَوَهَبْنا لَهُ يَحْيى وَأَصْلَحْنا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كانُوا يُسارِعُونَ فِي الْخَيْراتِ وَيَدْعُونَنا رَغَباً وَرَهَباً وَكانُوا لَنا خاشِعِينَ (٩٠)﴾.

يقول الله تعالى لرسوله محمدٍ صلى الله عليه وسلم: واذكُرْ يا محمدُ زكريا حينَ نادَى ربَّه: ربِّ لا تَذَرْنى وحيدًا لا ولدَ لي يعينني على إقامة دِينك، ويرث النبوة ليقوم بالأمر بعدي، فإن الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا.

﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾.

فلن تضيّع دينك، ولن تُخْلي الدنيا بعدي عن قائمٍ بحقِّك، رد الأمر إلى الله تعالى وأثنى على الله بأنه الباقي بعد فناء خلقه.

﴿فَاسْتَجَبْنا لَهُ وَوَهَبْنا لَهُ يَحْيى وَأَصْلَحْنا لَهُ زَوْجَهُ﴾.

---

١ - رواه أحمد- حديث رقم: ١٤٦٢، والترمذي- أبواب الدعوات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب، حديث رقم: ٣٥٠٥، بسند صحيح

فأجبنا دعاءه، ﴿وَأَصْلَحْنا لَهُ زَوْجَهُ﴾، قال ابن عباس، ومجاهد، وسعيد بن جبير وقتادة: كانت عاقرًا لا تلد، فولدت.

﴿إِنَّهُمْ كانُوا يُسارِعُونَ فِي الْخَيْراتِ وَيَدْعُونَنا رَغَباً وَرَهَباً وَكانُوا لَنا خاشِعِينَ﴾.

قيل: الضمير في (إنهم) عائد إلى الأنبياء الذين سماهم في هذه السورة، وقيل: عائد إلى زكريا وولده وأهله. ﴿كانُوا يُسارِعُونَ فِي الْخَيْراتِ﴾. استحقوا الإجابة إلى مرادهم لما كانوا يتصفون به من المبادرة إلى أبواب الخير ومسارعتهم في تحصيلها، وعدي يسارعون بـ (في) والأصل أن يعدى ب (إلى) لتضمنه معنى المنافسة، فيكون المعنى: ويسارعون متنافسين في الخيرات.

﴿وَيَدْعُونَنا رَغَباً وَرَهَباً﴾.

ويدعوننا طمعًا وخوفًا، وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾ [الزمر: ٩]، ﴿وَكانُوا لَنا خاشِعِينَ﴾. خاضعين لأمر الله تعالى، خائفين من عذابه. قال مجاهد: متواضعين. وقال قتادة: ذُلُلَ لأمر الله.

﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَها فَنَفَخْنا فِيها مِنْ رُوحِنا وَجَعَلْناها وَابْنَها آيَةً لِلْعالَمِينَ (٩١) إِنَّ هذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً واحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ (٩٢) وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كُلٌّ إِلَيْنا راجِعُونَ (٩٣)﴾.

يقولُ الله تعالى لرسوله محمدٍ صلى الله عليه وسلم: واذكُرِ التي أحْصَنَت فرجَها، يَعْنى مريمَ بنتَ عِمْرانَ، أَحصنَت فرجها: حَفِظَته ومَنَعَته من الوقوع في الفاحشةِ.

﴿فَنَفَخْنا فِيها مِنْ رُوحِنا﴾.

المراد بالرُّوح: جبريلُ عليه السلام، أي: أمرنا جبريل فنفخ في جيب درعها، فوصل النَّفخ إلى جوفها، وإضافته الروح إليه تعالى للتَّشريف.

﴿وَجَعَلْناها وَابْنَها آيَةً لِلْعالَمِينَ﴾.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وجعلناها وابنها دلالة على عظيم قدرتنا، حين حملت امرأة بلا مساسة ذكر، وولد مولود من غير أب، فمن تأمل حالهما استدل على عظيم قدرة الخالق تعالى؛ وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ﴾ [مريم: ٢١]، لعجيب خلقته.

﴿إِنَّ هذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً واحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾.

يقولُ الله تعالى خطابًا للناس جميعًا: إن هذه مِلَّتكم مِلَّةً واحدةً، وهذا دينكم دين واحد، قال ابن عباس: يريد دينكم.[1]

وأنا ربُّكم أيها الناسُ؛ ومنه قوله: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ﴾ [الزخرف: ٢٢]، أي على دين. فاعْبُدونِ فإنه لا يتسحق العبادة غيري.

﴿وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ﴾.

واختلف الناسُ في دينهم الذي أمرَهم اللَّهُ به ودَعاهم إليه، فصاروا فيه فرقًا وأحزابًا، فاختارت طائفة اليهودُية، واختارت طائفة النصارية، وعُبِدتِ طائفة الأوثانَ.

﴿كُلٌّ إِلَيْنا راجِعُونَ﴾.

يعني من تفرق ومن لم يتفرق، وفيه تهديد ووعيد لمن بدل دين الله الذي شرعه للناس.

﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلا كُفْرانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كاتِبُونَ (٩٤) وَحَرامٌ عَلى قَرْيَةٍ أَهْلَكْناها أَنَّهُمْ لا يَرْجِعُونَ (٩٥)﴾.

لما أخبر الله تعالى عن الخلق أنهم راجعون إليه مؤمنهم وكافرهم بقوله: ﴿كُلٌّ إِلَيْنا راجِعُونَ﴾، ذكر هنا حال كل فريق وما له من الجزاء عند الله تعالى، فبدأ بأهل الإيمان فقال: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ.....﴾، أي: من عمل صالحًا منهم وكان قبل ذلك مؤمنًا، ﴿فَلا كُفْرانَ لِسَعْيِهِ﴾، فلن يخيب الله تعالى سَعيه بل سيجازيه عليه، ﴿وَإِنَّا لَهُ كاتِبُونَ﴾، أي: وإنا لجزائه حافظون.

---

١ - التفسير البسيط (٨/ ١٨٣)

﴿وَحَرامٌ عَلى قَرْيَةٍ أَهْلَكْناها أَنَّهُمْ لا يَرْجِعُونَ﴾.

في الكلام حذف اختصار تقديره: ومن كفر بالله تعالى، وكذب رسله عليهم السلام ولم يعمل صالحًا، فلا جزاء له عند الله تعالى يوم القيامة، وليس له في الدنيا إلا الهلاك، وإن كثر عدد من كفر بالله تعالى وإن كانوا أهل قرية فإنهم لا يعجزونه.

ومن أهلكهم الله تعالى بالعذاب في الدنيا فلا سبيل إلى رجوعهم إلى الدنيا؛ لأن الله تعالى حرم عليهم الرجوع إلى الدنيا بعد هلاكهم، ولا يتوب منهم تائب.

وورد في قوله: ﴿وَحَرامٌ﴾، قراءتان متواترتان: قرأ حمزة والكسائي وشعبة عن عاصم ﴿وحِرْمٌ﴾، بكسر الحاء، وقرأ الباقون: ﴿وَحَرامٌ﴾، ومعناهما واحد، وهو المنع؛ أي: هم ممنوعون من الرجوع إلى الدنيا ليؤمنوا ويجتهدوا الطاعات، ويتلافَوا ما فَرَّطوا فيه من الأعمال الصالحة؛ لأنه لا تدارُك بعد الهلاك.

عن عِكْرِمةَ، عن ابن عباسٍ أنه كان يَقْرَأُ هذه الآيةَ: ﴿وحِرْمٌ على قريةٍ أَهْلَكْناها أَنَّهم لا يَرْجِعُون﴾. فلا يَرْجِعُ منهم راجِعٌ، ولا يَتوبُ منهم تائِبٌ.[1]

﴿حَتَّى إِذا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ (٩٦)﴾.

اختلف العلماء في متعلق (حتى) هنا فقال الزمخشري: هي متعلقة بحرام، وهي غاية له لأنّ امتناع رجوعهم لا يزول حتى تقوم القيامة.[2]

وتقدير كلامه: أن من قدر الله تعالى إهلاكهم، وكتب الشقاء عليهم لا يرجعون عن كفرهم حتى تزول الدنيا، ومن أمارات زوالها فتح سد يأجوج ومأجوج؛ فإن خروج يأجوج ومأجوج من علامات الساعة الكبرى؛ عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ الْغِفَارِيِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ اطَّلَعَ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْنَا وَنَحْنُ نَتَذَاكَرُ فَقَالَ: «مَا تَذَاكَرُونَ». قَالُوا نَذْكُرُ السَّاعَةَ. قَالَ: «إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ». فَذَكَرَ الدُّخَانَ وَالدَّجَّالَ وَالدَّابَّةَ وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ

---

١ - تفسير الطبري (١٦/ ٣٩٥)

٢ - تفسير الكشاف (٣/ ١٣٥)

www.alukah.net
شبكة الألوكة

مَغْرِبِهَا وَنُزُولَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَيَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ وَثَلَاثَةَ خُسُوفٍ خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ وَآخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ.[1]

وقيل: (حتى) حرف ابتداء لأن (إذا) تقتضي جوابًا، واختلف في الجواب، فقالت فرقة الجواب قوله: ﴿وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ﴾، والواو زائدة. والصحيح أنه لا زيادة في القرآن.

وقيل: الجواب في قوله: ﴿يَا وَيْلَنَا﴾، وقيل: الجواب قوله: ﴿فَإِذا هِيَ شاخِصَةٌ أَبْصارُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، وهو الراجح، قال ابن عطية: وهذا هو المعنى الذي قصد ذكره لأنه رجوعهم الذي كانوا يكذبون به وحرم عليهم امتناعه.[2]

﴿حَتَّى إِذا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ﴾.

في الكلام حذف اختصار تقديره: حتى إذا فتح سد يأجوج ومأجوج، فحذف المضاف وأدخلت علامة التأنيث؛ لأن يأجوج ومأجوج مؤنثان بمنزلة القبيلتين.

﴿وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾.

عن قتادة في قوله تعالى: ﴿وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾، قال: مِنْ كُلِّ أَكَمَةٍ.[3]

وينسلون: أي: يسرعون، النسلان: مشية الذئب إذا أسرع.

عَنْ زَيْنَبَ ابْنَةِ جَحْشٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ عَلَيْهَا فَزِعًا يَقُولُ: «لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ فُتِحَ الْيَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هَذِهِ». وَحَلَّقَ بِإِصْبَعِهِ الإِبْهَامِ وَالَّتِي تَلِيهَا. قَالَتْ زَيْنَبُ ابْنَةُ جَحْشٍ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ قَالَ: «نَعَمْ، إِذَا كَثُرَ الْخُبْثُ».[4]

---

١ – رواه مسلم– كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في الآيات التي تكون قبل الساعة، حديث رقم: ٢٩٠١

٢ – المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ١٠٠)

٣ – رواه عبد الرزاق– حديث رقم: ١٨٨٥، وابن جرير في تفسيره (١٦/ ٤٠٧)

٤ – رواه البخاري– كاب أحاديث الأنبياء، باب قصة يأجوج ومأجوج، حديث رقم: ٣٣٤٦، ومسلم– كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب اقتراب الفتن وفتح ردم يأجوج ومأجوج، حديث رقم: ٢٨٨٠

﴿وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذا هِيَ شاخِصَةٌ أَبْصارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يا وَيْلَنا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظالِمِينَ (٩٧) إِنَّكُمْ وَما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَها وارِدُونَ (٩٨) لَوْ كانَ هؤُلاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُوها وَكُلٌّ فِيها خالِدُونَ (٩٩) لَهُمْ فِيها زَفِيرٌ وَهُمْ فِيها لا يَسْمَعُونَ (١٠٠)﴾.

أي: اقترب موعود اللَّهِ الذي وعَد عبادَه أَنَّه يَبْعَثُهم من قبورِهم للحساب والجزاءِ؛ كما قال تعالى: ﴿اللَّهُ لا إِلهَ إِلَاّ هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلى يَوْمِ الْقِيامَةِ لا رَيْبَ فِيهِ﴾ [النساء: ٨٧]، وقال تعالى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِما عَمِلْتُمْ وَذلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [التغابن: ٧]، وقوله: ﴿الْحَقُّ﴾؛ أي: الصِّدق.

﴿فَإِذا هِيَ شاخِصَةٌ أَبْصارُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾.

تقدم أن هذا هو جواب الشرط في قوله: ﴿حَتَّى إِذا﴾، وإذا هي الفجائية، وقوله: ﴿شاخِصَةٌ﴾. الشخوص بالعين إحداد النظر دون أن يطرف؛ أي: مرتفعة لا تطرف لما ترى من أهوال ذلك اليوم، ولما يعتريها من شدة الخوف في ذلك اليوم.

و (هي): كناية عن القصة تجري مجرى الأَمر والشأن، وقيل: كناية عن الأبصار كما في قوله: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ﴾ [الحج: ٤٦]، وقوله تعالى: ﴿أَبْصارُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، احتراس عن حال المؤمنين؛ فإنهم لا يحزنهم الفزع الأكبر.

﴿يا وَيْلَنا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظالِمِينَ﴾.

يقولون: ﴿يا وَيْلَنا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا﴾، أي: في الدنيا، ﴿بَلْ كُنَّا ظالِمِينَ﴾، بعدم الإيمان بما جاءت به الرسل.

﴿إِنَّكُمْ وَما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَها وارِدُونَ﴾.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ثم يقال لهم يوم القيامة إنكم أيها المشركون وما تعبدون من آلهة مزعومة، ﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾، قال ابن عباس: أي وقودها، وقال مجاهد: حطبُ جهنَّمَ، كقوله تعالى: ﴿وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ [التحريم: ٦]، وقيل: الحَصَبُ: ما يُرمَى به؛ أي: يُحصب بهم في النَّار.

﴿أَنْتُمْ لَها وارِدُونَ﴾.

أي: أنتم داخلون فيها، وتقديم الضمير والجار والمجرور للاختصاص؛ أي: لا يردها غيركم.

قال الله تعالى: ﴿لَوْ كانَ هؤُلاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُوها وَكُلٌّ فِيها خالِدُونَ (٩٩) لَهُمْ فِيها زَفِيرٌ وَهُمْ فِيها لا يَسْمَعُونَ (١٠٠) إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنى أُولئِكَ عَنْها مُبْعَدُونَ (١٠١)﴾.

لما قال الله تعالى لمشركي قريش: ﴿إِنَّكُمْ وَما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَها وارِدُونَ﴾، بين تعالى أنها أصنام لا تنفع ولا تضر، بل ولا تستطيع دفع الضر عنها، فضلا عن أن تدفع الضر عن غيرها، فقال: ﴿لَوْ كانَ هؤُلاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُوها﴾، والورود هنا: الدخول.

﴿وَكُلٌّ فِيها خالِدُونَ﴾.

وكل من الأصنام وعابديها مخلدون في النار خلود دائم لا ينقطع، في عذاب دائم لا ينتهي.

وقُرِن المشركون بآلهتهم في النار لتزداد حسرتهم؛ لأنَّهم زعموا أنها تقربهم إلى الله زلفى فإذا بها سبب شقائهم الأبدي في النار.

﴿لَهُمْ فِيها زَفِيرٌ وَهُمْ فِيها لا يَسْمَعُونَ﴾.

ذكر الزفير لبيان شدة احتراق أجوافهم بالنار، ﴿وَهُمْ فِيها لا يَسْمَعُونَ﴾، مبالغة في العذاب، ولا يتسلى بغيره، فيظن الواحد منهم أنه لا يعذاب في النار غيره.

﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنى أُولئِكَ عَنْها مُبْعَدُونَ﴾.

قال ابن إسحاق: جلس رسولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، يومًا مع الوليدِ بن المُغيرةِ في المسجد، فجاء النَّضْرُ بن الحارثِ حتى جلَس معهم، وفى المجلسِ غيرُ واحدٍ من رجال قريشٍ،

فتَكلَّم رسولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فعرَض له النَّضْرُ بنُ الحارثِ، وكلَّمه رسولُ اللَّهِ حتى أفْحَمه، ثم تلا عليه وعليهم: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ (٩٨) لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ﴾. إلى قوله: ﴿وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ﴾. ثم قام رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، وأقبَل عبدُ اللَّهِ بنُ الزِّبَعْرَى بن قيسِ بن عديٍّ السَّهْميُّ، حتى جلَس، فقال الوليدُ بن المغيرةِ لعبدِ اللَّهِ بن الزِّبَعْرَى: واللَّهِ ما قام النَّضْرُ بنُ الحارثِ لابن عبد المطلبِ آنفًا وما قعَد، وقد زعَم أنَّا وما نَعبُدُ من آلهتِنا هذه حصَبُ جَهَنَّمَ. فقال عبدُ اللَّهِ بن الزِّبَعْرَى: أمَا واللَّهِ لو وجَدتُه لخَصَمْتُه، فسلوا محمدًا: أكُلُّ مَن عُبد مِن دونِ اللَّهِ في جَهَنَّمَ مع مَن عَبَدَه؟ فنحن نعبدُ الملائكةَ، واليهودُ تعبدُ عُزَيرًا، والنَّصارى تعبدُ المسيحَ عيسى ابنَ مريمَ. فعجِب الوليدُ بنُ المغيرةِ ومَن كان في المجلِسِ مِن قولِ عبدِ اللَّهِ بن الزِّبَعْرَى، ورَأَوا أنه قد خاصم واحتَجَّ، فذُكِر ذلك لرسولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مِن قولِ ابن الزِّبَعْرَى، فقال «رسولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "نَعَم، كلُّ مَن أَحَبَّ أن يُعبَدَ مِن دونِ اللَّهِ فهو مع مَن عَبَدَه، إنما يَعبُدون الشياطينَ ومَن أَمَرَتْهم بعبادتِه". فأنزَل اللَّهُ عليه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ إلى: ﴿خَالِدُونَ﴾. أي: عيسى ابن مريمَ، وعُزيرٌ، ومَن عُبِدوا من الأحبارِ والرُّهبانِ الذين مَضَوا على طاعةِ اللَّهِ، فاتَّخَذهم مَنْ بعدَهم من أهلِ الضلالةِ أربابًا مِن دونِ اللَّهِ.[1]

وعن ابن عباسٍ، قال: لما نزَلت: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾. قال المشركون: فإنَّ عيسى يُعبَدُ، وعُزَيرٌ، والشمسُ، والقمرُ يُعبدون! فأنزل اللَّهُ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾؛ لعيسى وغيرِه.[2]

وهذا وإن كان سبب نزول هذه الآية فإن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

﴿لا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خالِدُونَ (١٠٢) لا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ هذا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (١٠٣)﴾.

١ - رواه ابن جرير (١٦/ ٤١٧)

٢ - رواه ابن جرير (١٦/ ٤١٨)

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يخبر الله تعالى عن المؤمنين الذين كتب الله تعالى لهم الجنة، أنهم لا يسمعون صوت النار، والحس والحسيس: الصوت؛ ولا يحزنهم الفزع الأكبر حين يفزع الناس؛ لما رواه ابن حبان عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فيما يَرْوِي عَنْ رَبِّهِ جَلَّ وَعَلَا، أنه قَالَ: «وَعِزَّتِي لَا أَجْمَعُ عَلَى عَبْدِي خَوْفَيْنِ وَأَمْنَيْنِ، إِذَا خَافَنِي فِي الدُّنْيَا أَمَّنْتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَإِذَا أَمِنَنِي فِي الدُّنْيَا أَخَفْتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».[1]

عن ابن عباسٍ قولَه: ﴿لا يَسْمَعُونَ حَسِيسَها وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خالِدُونَ﴾. يقولُ: لا يسمعُ أهلُ الجنةِ حَسيسَ النارِ إذا نزَلوا منزِلَهم مِن الجنةِ.[2]

﴿وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خالِدُونَ﴾.

يعني في الجنة؛ كما قال تعالى: ﴿فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزاءً بِما كانُوا يَعْمَلُونَ﴾.[3]

عَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ يَرْفَعُهُ إِلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «سَأَلَ مُوسَى رَبَّهُ: مَا أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً؟ قَالَ: هُوَ رَجُلٌ يَجِيءُ بَعْدَمَا أُدْخِلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، فَيُقَالُ لَهُ: ادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، كَيْفَ وَقَدْ نَزَلَ النَّاسُ مَنَازِلَهُمْ وَأَخَذُوا أَخَذَاتِهِمْ؟ فَيُقَالُ لَهُ: أَتَرْضَى أَنْ يَكُونَ لَكَ مِثْلُ مُلْكِ مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ الدُّنْيَا؟ فَيَقُولُ: رَضِيتُ رَبِّ، فَيَقُولُ: لَكَ ذَلِكَ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ، فَقَالَ فِي الْخَامِسَةِ: رَضِيتُ رَبِّ، فَيَقُولُ: هَذَا لَكَ وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ، وَلَكَ مَا اشْتَهَتْ نَفْسُكَ وَلَذَّتْ عَيْنُكَ، فَيَقُولُ: رَضِيتُ رَبِّ، قَالَ: رَبِّ، فَأَعْلَاهُمْ مَنْزِلَةً؟ قَالَ: أُولَئِكَ الَّذِينَ أَرَدْتُ غَرَسْتُ كَرَامَتَهُمْ بِيَدِي وَخَتَمْتُ عَلَيْهَا، فَلَمْ تَرَ عَيْنٌ وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى

---

١ – رواه ابن حبان– النوع الثاني: ألفاظ الوعد التي مرادها الأوامر باستعمال تلك الأشياء، ذكر البيان بأن حسن الظن الذي وصفناه يجب أن يكون مقرونا بالخوف منه جل وعلا، حديث رقم: ٦٦٥، بسند حسن

٢ – تفسير الطبري (١٦/ ٤٢١)

٣ – سورة السجدة: الآية/ ١٧

قَلْبِ بَشَرٍ، قَالَ: وَمِصْدَاقُهُ فِي كِتَابِ اللهِ عز وجل: ﴿فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾»، الْآيَةَ.[1]

﴿لا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ﴾.

قيل: النَّفخةُ الآخرة؛ لقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾.[2]

وقيل: حين يُؤْمَر بالعبد إلى النار. قاله الحسن البصري.

وقيل: حين تُطبق النار على أهلها. قاله سعيد بن جُبَيْر، وابن جُرَيج.

وقيل: حين يُذبَح الموت بين الجنة والنار.

﴿وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ هذا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾.

أي: وتستقبلهم الملائكة مهنِّئين، قائلين لهم: ﴿هَذَا يَوْمُكُمُ﴾: أي: هذا يومُ ثوابكم، ﴿الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ به في الدُّنيا.

﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّماءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَما بَدَأْنا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْداً عَلَيْنا إِنَّا كُنَّا فاعِلِينَ (١٠٤) وَلَقَدْ كَتَبْنا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُها عِبادِيَ الصَّالِحُونَ (١٠٥) إِنَّ فِي هذا لَبَلاغاً لِقَوْمٍ عابِدِينَ (١٠٦) وَما أَرْسَلْناكَ إِلاّ رَحْمَةً لِلْعالَمِينَ (١٠٧) قُلْ إِنَّما يُوحى إِلَيَّ أَنَّما إِلهُكُمْ إِلهٌ واحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (١٠٨)﴾.

يقول الله تعالى: لا يَحزُنُهم الفزعُ الأكبرُ يومَ نَطوى السماءَ، كطي السجل للكتب.

---

١ – رواه مسلم– كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، حديث رقم: ١٨٩

٢ – سورة النمل: الآية/ ٨٧

www.alukah.net
شبكة الألوكة

والطَّيُّ: ضدُّ النَّشرِ، والسجل هو المجلد العظيم الذي يشتمل على صحف كثيرة؛ ودل عليه حديث: «يُصَاحُ بِرَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ، فَيُنْشَرُ لَهُ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ سِجِلًّا، كُلُّ سِجِلٍّ مَدَّ الْبَصَرِ».[1]

وأما ورد عن ابن عمر من قوله: السجل ملك، فموضوع لا يصح، كما جزم بذلك العلماء، وما ورد كذلك عن ابن عباس من قوله: اسم رجل كان يكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يصح، ولا يعرف في الصحابة من تسمى بذلك.

قرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم: ﴿لِلْكُتُبِ﴾، بالجمع، وقرأ الباقون: ﴿لِلكِتَابِ﴾، بالإفراد اسم جنس.

﴿كَما بَدَأْنا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ﴾.

أي: نعيد الخلق بالبعث والنشور كما خلقناه أول مرة من العدم، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: «خَطَبَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: إِنَّكُمْ مَحْشُورُونَ إِلَى اللهِ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا: ﴿كَما بَدَأْنا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْداً عَلَيْنا إِنَّا كُنَّا فاعِلِينَ﴾ الحديث».[2]

﴿وَعْداً عَلَيْنا إِنَّا كُنَّا فاعِلِينَ﴾.

منصوب على المصدر؛ تقديره: وعدنا هذا وعدا؛ ﴿إِنَّا كُنَّا فاعِلِينَ﴾، أَي: قادِرين عَلَيهِ.

ومن وعد الله تعالى على البعث والنشور قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذلِكَ لَمَيِّتُونَ (١٥) ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ تُبْعَثُونَ﴾.[3]

﴿وَلَقَدْ كَتَبْنا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ﴾.

---

١ – تقدم تخريجه

٢ – رواه البخاري– كتاب التفسير، سورة الأنبياء، باب: ﴿كَما بَدَأْنا أَوَّلَ خَلْقٍ﴾، حديث رقم: ٤٧٤٠، ومسلم– كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة، حديث رقم: ٢٨٦٠

٣ – سورة المؤمنون: الآية/ ١٥، ١٦

يقول الله تعالى: ولقد كتبنا في الزبور والمراد: الكتبُ التي أنزَلها اللَّهُ على الأنبياء والمرسلين، والمراد بالذكرِ اللوح المحفوظ، قال سعيدِ بن جبيرٍ في قولِه: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنا فِي الزَّبُورِ﴾. قال: الزّبور التوراةُ والإنجيلُ والقرآنُ، ﴿مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ﴾. قال: الذكرِ الذي في السماءِ.

﴿أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُها عِبادِيَ الصَّالِحُونَ﴾.

كما قال تعالى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُها لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلا فَساداً وَالْعاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾.[1]

قال ابن عباسٍ وسعيد بن جبير ومجاهد وابن زيد وأبو العالية في قولَه: ﴿أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُها عِبادِيَ الصَّالِحُونَ﴾: أَرضَ الجنةِ.[2]

﴿إِنَّ فِي هذا لَبَلاغاً لِقَوْمٍ عابِدِينَ﴾.

يقول الله تعالى: إن في هذا القرآنِ الذي أنزَلْناه عليك يا محمدٍ لبلاغًا لمَن أراد النجاة غدًا بين يدي الله تعالى فعبَده بما أنزل فيه مِن الفرائضِ التي فرَضها اللَّهُ على عباده.

﴿وَما أَرْسَلْناكَ إِلَاّ رَحْمَةً لِلْعالَمِينَ﴾.

لما ذكَر الله تعالى إنزال القرآن، وبين أن فيه بلاغًا لمن أراد النجاة، ذكر الغاية من إرسال الرسول صلى الله عليه وسلم فبين أنه ما أرسله إلا ليرحم به العباد ببيان ما يجب عليه من توحيد الله تعالى فقال لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم: وما أرسلناك يا محمد إلا رحمةً للعالمين، من آمن به ومن لم يؤمن به، فمن آمن بهد سعد في الدنيا والآخرة، ومن لم يؤمن به أمهله الله تعالى ولم يعاجله بالعقاب في الدنيا كما أهلك الأمم السابقة حين كذبوا رسلهم.

١ – سورة القصص: الآية/ ٨٣

٢ – تفسير الطبري (١٦/ ٤٣٥)

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قال ابن عباس: تمَّتِ الرحمة لمن آمن به في الدُّنيا والآخرة، ومَن لم يُؤمن به عُوفِيَ مما أصاب الأمَم قبلُ.[1]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قِيلَ: «يَا رَسُولَ اللهِ ادْعُ عَلَى الْمُشْرِكِينَ قَالَ: إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ لَعَّانًا، وَإِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً».[2]

ومن رحمته صلى الله عليه وسلم أن شريعته أتت بجلب المصالح وتكميلها، ودرأ المفاسد وتقليلها.

وفي الآية دليل على عموم رسالته صلى الله عليه وسلم.

﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلهُكُمْ إِلهٌ واحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾.

أي: قل يا محمد ما يوحى إليَّ إلا أن إلهكم إله واحد، و (إنما) تفيد القصر، أي: إلهكم الذين يستحق العبادة إله واحد، لا شريك له، وفي الآية ردٌّ على المشركين في عبادة غير الله.

﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾.

استفهام بمعنى الأمر أي أسلموا، وفيه أبلغُ تلطُّفٍ في الدعوة إلى الإسلام.

﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ آذَنْتُكُمْ عَلى سَواءٍ وَإِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَمْ بَعِيدٌ مَا تُوعَدُونَ (١٠٩) إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ (١١٠) وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتاعٌ إِلى حِينٍ (١١١) قالَ رَبِّ احْكُمْ بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمنُ الْمُسْتَعانُ عَلى ما تَصِفُونَ (١١٢)﴾.

فإن أعرضوا فلم يُسلموا فقل لهم: ﴿فَقُلْ آذَنْتُكُمْ عَلى سَواءٍ﴾؛ أي: فقل لهم أعلمتُكم علمًا ظاهرًا على وجهٍ نستوي نحن وأنتُم في العلم به، أنه لا مسالمة بيننا وبينكم، وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ﴾.[3]

---

١ - تفسير الطبري (١٦/ ٤٤٠)

٢ - رواه مسلم- كتاب البر والصلة والآداب، باب النهي عن لعن الدواب وغيرها، حديث رقم: ٢٥٩٩

٣ - سورة الأنفال: الآية/ ٥٨

﴿وَإِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَمْ بَعِيدٌ مَا تُوعَدُونَ﴾.

(إن) نافية أي: ولا أعلم متى يحل بكم العذاب الذي توعدكم الله به، وهو أبلغ في الترهيب.

﴿إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ﴾.

أي: إنه تعالى يعلم ما تجهرون به من قول الشرك الذي تتكلمون به، ﴿وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ﴾ من ذلك، فليس تأخير العذاب عنكم لخفاءِ حالكم، بل لأجل مسمى عنده.

﴿وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتاعٌ إِلى حِينٍ﴾.

وما أدري لعل تأخير العذاب عنكم اختبار لكم، لينظر كيف تعملون وهو أعلم، ومتاع لكم تتمتعون به، واستدراجٌ لكم إلى انقضاء آجالكم.

﴿قالَ رَبِّ احْكُمْ بِالْحَقِّ﴾.

قرأ حفص عن عاصم: (قَالَ) بالألف إخبار عن النبي صلى الله عليه وسلم، وقرأ الباقون: (قُلْ) بغير ألف على الأمر؛ أي: قل يا محمد رب اقضِ بيننا وبين أهل مكَّة بالعدل، فيما أرادوا من استعجال العذاب، فعُذِّبوا ببدر.

﴿وَرَبُّنَا الرَّحْمنُ الْمُسْتَعانُ عَلى ما تَصِفُونَ﴾.

أي: وربنا عظيم الرحمة الذي تطلب منه المعونة على ما تقولون من الباطل وتفترون من الكذب.

آخر تفسير سورة الأنبياء ولله الحمد والمنة، ونسأله المعونة والتيسير على الإتمام.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

تفسير سورة الحج

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ (١) يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذاتِ حَمْلٍ حَمْلَها وَتَرَى النَّاسَ سُكارى وَما هُمْ بِسُكارى وَلكِنَّ عَذابَ اللَّهِ شَدِيدٌ (٢) وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطانٍ مَرِيدٍ (٣) كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلى عَذابِ السَّعِيرِ (٤)﴾.

سورة الحج مكية.

قال ابن عباس في أظهر الروايتين: هي مكية إلا قوله تعالى: ﴿هذانِ خَصْمانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾. وآيتين بعد هذه الآية، وقوله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا...﴾. الآية.

وعنه رواية أخرى: أن هذه السورة مدنية إلا آيات فيها نزلت بمكة.

وعَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ، قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فِي سَفَرٍ فَتَفَاوَتَ بَيْنَ أَصْحَابِهِ فِي السَّيْرِ فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم صَوْتَهُ بِهَاتَيْنِ الآيَتَيْنِ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ [الحج: ١]، إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج: ٢]، فَلَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ أَصْحَابُهُ حَثُّوا المَطِيَّ وَعَرَفُوا أَنَّهُ عِنْدَ قَوْلٍ يَقُولُهُ، فَقَالَ: «هَلْ تَدْرُونَ أَيُّ يَوْمٍ ذَلِكَ»؟ قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «ذَلِكَ يَوْمٌ يُنَادِي اللَّهُ فِيهِ آدَمَ فَيُنَادِيهِ رَبُّهُ فَيَقُولُ: يَا آدَمُ ابْعَثْ بَعْثَ النَّارِ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، وَمَا بَعْثُ النَّارِ؟ فَيَقُولُ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعُ مِائَةٍ وَتِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ إِلَى النَّارِ وَوَاحِدٌ فِي الجَنَّةِ» فَيَئِسَ القَوْمُ، حَتَّى مَا أَبْدَوْا بِضَاحِكَةٍ، فَلَمَّا رَأَى رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم الَّذِي بِأَصْحَابِهِ قَالَ: «اعْمَلُوا وَأَبْشِرُوا فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنَّكُمْ لَمَعَ خَلِيقَتَيْنِ مَا كَانَتَا مَعَ شَيْءٍ إِلَّا كَثَّرَتَاهُ، يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ، وَمَنْ مَاتَ مِنْ بَنِي آدَمَ وَبَنِي إِبْلِيسَ» قَالَ: فَسُرِّيَ عَنِ القَوْمِ بَعْضُ الَّذِي يَجِدُونَ، فَقَالَ: «اعْمَلُوا وَأَبْشِرُوا

فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ مَا أَنْتُمْ فِي النَّاسِ إِلَّا كَالشَّامَةِ فِي جَنْبِ البَعِيرِ أَوْ كَالرَّقْمَةِ فِي ذِرَاعِ الدَّابَّةِ».[1]

﴿يا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ (١)﴾.

مناسبة السورة لما قبلها:

قال برهان الدين البقاعي: لما ختمت التي قبلها بالترهيب من الفزع الأكبر، وطيّ السماء وإتيان ما يوعدون، والدينونة بما يستحقون، وكان أعظم ذلك يوم الدين، افتتحت هذه بالأمر بالتقوى المنجية من هول ذلك اليوم، فقال: ﴿يا أَيُّهَا النَّاسُ﴾. أي: الذين تقدم أول تلك أنه اقترب لهم حسابهم ﴿اتَّقُوا رَبَّكُمْ﴾. أي: احذروا عقاب المحسن إليكم بأنواع الإحسان بأن تجعلوا بينكم وبينه وقاية الطاعات.[2]

بين يدي السورة:

افتتح الله تعالى السورة بذلك البيان العظيم الذي يلقي الروع في القلوب من أحداث يوم القيامة، ثم ذكر شيئًا من أهوال ذلك اليوم فقال: ﴿يَوْمَ تَرَوْنَها تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذاتِ حَمْلٍ حَمْلَها وَتَرَى النَّاسَ سُكارى وَما هُمْ بِسُكارى وَلكِنَّ عَذابَ اللَّهِ شَدِيدٌ (٢)﴾.

ثم بين الله تعالى حال صنف من الناس، صفتهم التي غلبت عليهم الجهل، وهم على جهلهم يجادلون في الله تعالى، في أسمائه وصفاته، وتوحيده وتشريعاته، ويتبعون كل شيطان عات متمرد على ربه، كتب الله تعالى عليه أن من اتخذه وليًّا أضله عن سواء الصراط، وسلك به أودية الغواية، وأورده موارد الهلاك.

---

١ – رواه أحمد– حديث رقم: ١٩٩٠١، والترمذي– أبواب تفسير القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب: ومن سورة الحج، حديث رقم: ٣١٦٩، بسند صحيح

٢ – نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١٣/ ١)

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ثم أعقب الله تعالى ذلك البيان ببيان آخر يخاطب الله تعالى به القلوب إن كانت تعقل عن الله تعالى، لتستفيق من غفلتها وتعلم أن الذي خلقهم من تراب قادر على إعادتهم بعد الموت فقال: ﴿يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْناكُمْ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ (٥)﴾.

ثم ذكر الساعة آتية لا ريب فيها، ليبدد تلك الأوهام التي عند المشركين، باستحالة البعث والنشور، واستبعاد الجزاء والحساب فيقول: ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لا رَيْبَ فِيها وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ (٧)﴾.

ثم يبين أن سبب تلك العقائد الباطلة، هو جدال أولئك المشركين في الله تعالى مع ما هم عليه من الجهل، ومع ما يتصفون به من الكبر الذي يحول بينهم وبين الانقياد لأنبياء الله ورسله.

ولما ذكر الله تعالى من يجادل في الله بغير علم ولا هدى، وأنه متبع لكل شيطان مريد، ذكر الله تعالى صنفًا آخر من الناس، قريب من ذلك الصنف الأول في الانحراف عن منهج الله تعالى، ومشارك له في سوء العاقبة، وهو من يعبد الله على حرف، فإنه أصابه خير اطمأن به، وثبت على عبادة الله تعالى، وإن أصابته فتنة، وعرض له بلاء أعرض عن عبادة الله وانقلب على عقبيه، قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلى حَرْفٍ فَإِنْ أَصابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيا وَالْآخِرَةَ ذلِكَ هُوَ الْخُسْرانُ الْمُبِينُ (١١)﴾.

ثم بين الله تعالى حال الصنف الثالث وهم المؤمنون وما لهم عند الله تعالى فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ ما يُرِيدُ (١٤)﴾.

ثم أخبر الله تعالى أنه عليم بخلقه لا يخفى عليهم منهم شيء، وأنه سيفصل بينهم يوم القيامة، فيجازي المحسن بإحسنه والمسيء بإساءته فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هادُوا

وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصارى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (١٧)﴾.

ثم ذكر الله تعالى افتراق المؤمنين والكفار في الدنيا، وذكر ما أعده لكل فريق منهم يوم القيامة من الجزاء، ثم خص الذين كفروا بالذكر تشنيعًا عليهم بكفرهم، وصدهم عن سبيل الله والمسجد والمسجد الحرام الذي جعله الله تعالى للناس يستوي فيه العاكف فيه والباد، وحذر عباده من الإلحاد فيه، واستطرد إلى مبدأ بنائه وأمر إبراهيم عليه السلام بإعلام الناس بالحج إلى بيت الله الحرام، وما في عبادة الحج من توحيد الله تعالى، وتعظيم شعائره فقال: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجالاً وَعَلى كُلِّ ضامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ (٢٧)﴾.

ثم أخبر الله تعالى أنه أذن للمؤمنين المستضعفين أن يقاتلوا من قاتلهم، وينتصروا ممن أخرهم من ديارهم بغير حق، ووعدهم الله تعالى بنصره فقال: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ (٣٩)﴾. ووعدهم بالتمكين في الأرض، وبين لهم شرطه في تثبيت دعائم دولتهم، وهو أن يقيموا الصلاة ويؤتوا الزكان ويأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر، فقال: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عاقِبَةُ الْأُمُورِ (٤١)﴾.

ولما سلك مشركوا قريش مسلك الأمم الغابرة في تكذيب رسلهم واستهزائهم بهم بقوله: ﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعادٌ وَثَمُودُ (٤٢)﴾، هددهم الله تعالى بمصير مثل مصيرهم، وهو الهلاك العام، بقوله: ﴿فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْناها وَهِيَ ظالِمَةٌ فَهِيَ خاوِيَةٌ عَلى عُرُوشِها وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ (٤٥)﴾، ثم دعاهم الله تعالى للاعتبار بمصارع الغابرين، والتفكر في عاقبة أمرهم وألا يغرهم إمهال الله تعالى لهم؛ قال تعالى: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَها وَهِيَ ظالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُها وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ (٤٨)﴾.

ثم تمضي الآيات في بيان عموم بعثة رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم للناس كافة، وبيان جزاء المؤمنين الطائعين، وبيان عقاب الكفار العصاة، ثم تنتقل الآيات لبيان دلائل قدرة

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الله تعالى بذكر آياته الكونية بقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ (٦٣)﴾.

ثم يذكر الله تعالى ما خص به تلك الأمة من المناسك، وينهى رسوله صلى الله عليهم وسلم، عن جدال أولئك المشركين، وأمره أن يرد العلم لله تعالى؛ فيقول: ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنا مَنْسَكاً هُمْ ناسِكُوهُ فَلا يُنازِعُنَّكَ فِي الْأَمْرِ وَادْعُ إِلى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلى هُدىً مُسْتَقِيمٍ (٦٧)﴾.

ثم يضرب الله تعالى للمشركين مثلًا يبين لهم فيه عجز أوثانهم أمام أضعف مخلوقات الله تعالى، فيقول: ﴿يا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُباباً وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبابُ شَيْئاً لا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ (٧٣)﴾.

ثم تنتهي السورة بأمر عام للمؤمنين بالإقبال على عبادة ربهم وفعل الخيرات التي بها فوزهم وفلاحهم، وأن يجاهدوا في الله حق جهاده، ويبشرهم تعالى بأنه اجتباهم واصطفاهم على الخلائق، بقوله: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٧٧) وَجاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهادِهِ هُوَ اجْتَباكُمْ وَما جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْراهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هذا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَداءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلى وَنِعْمَ النَّصِيرُ (٧٨)﴾.

﴿يا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ (١) يَوْمَ تَرَوْنَها تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذاتِ حَمْلٍ حَمْلَها وَتَرَى النَّاسَ سُكارى وَما هُمْ بِسُكارى وَلكِنَّ عَذابَ اللَّهِ شَدِيدٌ (٢)﴾.

يقول الله تعالى آمرًا عباده بتقواه، ومحذرًا لهم من أسباب سخطه: يا أيُّها الناسُ اتقوا ربكم فلا تشركوا به شيئًا ولا تخالفوا له أمرًا، واحذَروا عقابه فإن زلزلة الساعة شيء عظيم لا يخطر بالبال؛ لأن الناس لا عهد لهم به، والزلزلة حركة الأرض بأهلها حركة هائلة؛ كما قال تعالى:

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا (١) وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ [الزلزلة: ١، ٢]، وقال تعالى: ﴿إِذَا رُجَّتِ الأَرْضُ رَجًّا (٤) وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا (٥) فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا﴾ [الواقعة: ٤ - ٦]، وقال تعالى: ﴿وَحُمِلَتِ الأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً (١٤) فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾.[1]

واختلف في وقتها فقيل: قبل قيام الساعة، فعن عَلْقَمَة في قوله: ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾، قال: قبل الساعة.[2]

وعن الشعبي: ﴿يا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ....﴾ الآية، قال: هذا في الدنيا قبل يوم القيامة.[3]

وقيل: عند قيامها، قال ابن زيد في قوله: ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾، قال: هذا يوم القيامة.

والراجح أن ذلك قبل قيام الساعة؛ لما رواه مسلم في صحيحه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «تَقِيءُ الْأَرْضُ أَفْلَاذَ كَبِدِهَا أَمْثَالَ الْأُسْطُوَانِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، فَيَجِيءُ الْقَاتِلُ، فَيَقُولُ: فِي هَذَا قَتَلْتُ، وَيَجِيءُ الْقَاطِعُ، فَيَقُولُ: فِي هَذَا قَطَعْتُ رَحِمِي، وَيَجِيءُ السَّارِقُ فَيَقُولُ: فِي هَذَا قُطِعَتْ يَدِي، ثُمَّ يَدَعُونَهُ فَلَا يَأْخُذُونَ مِنْهُ شَيْئًا».[4]

وإضافة الزلزلة إلى الساعة إضافة المصدر إلى فاعله كأنها هي التي تزلزل الأرض.

﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ﴾.

يوم ترون الزلزلة ﴿تَذْهَلُ﴾، الذُّهول، الانشغال عن الأمر من شدة الدهشة والحيرة، ﴿كُلُّ مُرْضِعَةٍ﴾، أي: تدهش كل مرضعة عن رضيعها الذي هو أحب الناس إليها، لهول ما ترى،

---

١ - سورة الحاقة: الآية/ ١٤، ١٥

٢ - تفسير الطبري (١٦/ ٤٤٦)، وابن أبي حاتم- رقم: ١٣٧٠١

٣ - تفسير الطبري (١٦/ ٤٤٧)، وابن أبي حاتم- رقم: ١٣٧٠١

٤ - رواه مسلم- كتاب الزكاة، باب الترغيب في الصدقة قبل أن لا يوجد من يقبلها، حديث رقم: ١٠١٣

www.alukah.net
شبكة الألوكة

مع كمال شفقتها عليه وقال: ﴿كُلُّ مُرْضِعَةٍ﴾ ولم يقل مرضع، لبيان أن ذهولها في حال إرضاعها له، وقال: ﴿عَمّا أَرْضَعَتْ﴾ أي: عن رضيعها قبل فطامه.

﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذاتِ حَمْلٍ حَمْلَها﴾.

أي: وتضع حملها قبل تمامه لعظم الخطب وشدة الهول.

﴿وَتَرَى النَّاسَ سُكارى وَما هُمْ بِسُكارى وَلكِنَّ عَذابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾.

أي: وترى الناس تحسبهم سكارى ذهبت عقولهم، لهول ما يرونه، وما هم بسكارى ولكن لشدة عذاب الله تعالى يومئذ.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطانٍ مَرِيدٍ (٣) كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلى عَذابِ السَّعِيرِ (٤)﴾.

سبب نزول الآية:

قال الواحدي: نزلت في النَّضر بن الحارث وجماعةٍ من قريش كانوا يُنكرون البعث ويقولون: القرآن أساطير الأولين ويجادلون النبي صلى الله عليه وسلم.[1]

وروى ابن أبي حاتم عن أبي مالك أنه قال: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾. نزلت في النضر بن الحارث.[2]

وهذه الآية وإن نزلت على سبب خاص فإنها تشمل كل من يجادل في الله تعالى وفي دينه بغير علم، فإن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

يخبر الله تعالى أن من الناس من يخاصم في دين الله تعالى أشد الخصام، ويجادل بالباطل أشد الجدال، فيزعم أن الله تعالى غير قادر على إحياء الموتى، ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾. بغير بينة ولا برهان على ما يدعيه، إنما يجادل بالباطل.

---

١ - الوجيز للواحدي (ص: ٧٢٧)

٢ - رواه ابن أبي حاتم- رقم: ١٣٧٧٦

﴿وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطانٍ مَرِيدٍ﴾.

ويتبع في جداله كل شيطان عاتٍ متمردٍ، من شياطين الإنس والجن، وهو حال أصحاب البدع وأهل الضلال يجادلون بالباطل ليدحضوا به الحق.

﴿كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلى عَذابِ السَّعِيرِ﴾.

كتب الله عليه في فيما قدره ﴿أَنَّهُ مَنْ تَوَلاهُ﴾ أي: من اتبعه وقلده، ﴿فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ﴾، عن سبيل الله في الدنيا، ﴿وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ﴾، ويقوده في الآخرة إلى عذاب النار المستعرة.

﴿يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْناكُمْ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحامِ مَا نَشاءُ إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً وَتَرَى الْأَرْضَ هامِدَةً فَإِذا أَنْزَلْنا عَلَيْهَا الْماءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (٥)﴾.

يقول الله تعالى: يا أيها الناس والمراد هنا أهل مكة لأنهم كانوا لا يؤمنون بالبعث إن كنتم في شك من بعث الأجساد بعد موتها، ﴿فَإِنَّا خَلَقْناكُمْ مِنْ تُرابٍ﴾، ابتدأنا خلق أبيكم من تراب، وأسند ذلك إلى الناس؛ لأنهم من ذريته، وهو أصلهم، وهو أبلغ من البعث بعد الموت، ﴿ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ﴾، من المني، ﴿ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ﴾، قطعة من دمٍ جامدةٍ، ﴿ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾، ثم من قطعة من لحم تشبه المضغة، تامة الخلقة، وغير تامة الخلقة كالسِّقْط، ﴿لِنُبَيِّنَ لَكُمْ﴾، في الكلام حذف اختصار تقديره: ذكرنا ذلك لنبيّن لكم قدرتنا على البعث، فإن مَن قدرَ على تقديره وتصويره أوَّلاً في تلك الأطوار قادر على إعادته بعد الموت.

﴿وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحامِ مَا نَشاءُ إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾.

ونُثبتُ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ ثبوتَه وإقراره إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وهو وقتُ الوَضعِ.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً﴾.

أي ثم نخرجكم من بطونِ أمَّهاتِكم بعد إقرارِكم فيها عند تمامِ الأجلِ المُسمَّى، حالَ كونِكم أطفالاً والإفرادُ باعتبارِ كلِّ واحدٍ منهم أو على إرادةِ الجنسِ.

﴿ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ﴾.

الأَشُدُّ: كمالُ القوَّةِ والعقلِ والتَّمييزِ، وهو من ألفاظ الجموع التي لا واحد لها.

﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً﴾.

ومنكم من يتوفى عند بلوغ الأشُدِّ، أو قبلَه، أو بعدَه قبل الهرم، ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً﴾. الهَرَم والخَرَف، ليعودَ كهيئته الأُولَى في أوان طفوليَّته، ضعيفَ العقل، قليلَ الفهم؛ كما قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾.[1]

﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هامِدَةً فَإِذا أَنْزَلْنا عَلَيْهَا الْماءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (٥) ذلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِ الْمَوْتى وَأَنَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٦) وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لا رَيْبَ فِيها وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ (٧)﴾.

يقول الله تعالى: وترى الأرض هامدة؛ أي: لا حياة فيها ولا نبات، والهمود: السكون والموت، يقال: همدَتِ النَّارُ: إذا صارَت رمادًا، قال قتادة: غبراء متهشمة. وقال السدي: ميتة.

قال الشاعر:

رمى الْحدثَان نسْوَة آل حَرْب **** بنازلة همدن لَهَا همودًا

*

فَردَّ شعورهن السودَ بيضًا **** ورد وجوههن البيضَ سُودًا

---

١ - سورة الروم: الآية/ ٥٤

شبكة الألوكة - قسم الكتب

*

﴿فَإِذا أَنْزَلْنا عَلَيْهَا الْماءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾.

فإذا أنزل الله عليها ماء مطر ﴿اهْتَزَّتْ﴾؛ أي: تحركت بالنبات وحييت بعد موتها، ﴿وَرَبَتْ﴾؛ أي: زادت وانتفخت، وقرأ أبو جعفر: ﴿وَرَبَأَتْ﴾ بالهمز؛ أي: ارتفعت لتحرك النبات فيها، ﴿وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾، وأنبتت من كل صنفٍ مبهجٍ يسرُّ الناظرين إليه.

﴿ذلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِ الْمَوْتى﴾.

إشارة إلى ما ذُكِرَ مِن خلق الإنسان في أطوارٍ مختلفةٍ وفنائه، وإحياءِ الأرض بعد موتها، بسبب أن الله هو الإله الحق دون غيره، وذلك من آثارِ أُلوهيتِه تعالى، وأنه يبعث من في القبور كما أحيا الأرض بعد موتها.

﴿وَأَنَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

وأنه تعالى لا يعجزه شيء، فكما دلت الدلائل الحسية على إحياء بعض الأموات لزم اقتدارُه على إحياء الكلِّ.

﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لا رَيْبَ فِيها وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾.

لما قامت دلائل الحس على خلق الإنسان في أطوارٍ مختلفةٍ وفنائه، وقامت دلائل المشاهدة على إحياء بعد الأرض بعد موتها، وأخبر الله تعالى عن قيام الساعة، وعن البعث والنشور، فلابد من وقع ما أخبر به، وتحقق ما وعد به فإنه لا أصدق منه قيلًا.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلا هُدىً وَلا كِتابٍ مُنِيرٍ (٨) ثانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ عَذابَ الْحَرِيقِ (٩) ذلِكَ بِما قَدَّمَتْ يَداكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ (١٠)﴾.

يقول الله تعالى: ومن الناس من يخاصم في الله تعالى وإفراده بالألوهةِ بغيرِ علمٍ منه بما يُخاصِمُ به، وقيل: بغيرِ علمٍ بعاقبة ما يقول. ﴿وَلَا هُدًى﴾. وبغير برهانٍ على ما يدعيه، من جهةِ

www.alukah.net
شبكة الألوكة

دلائل النظر. ﴿وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾. وبغيرِ كتابٍ من الله يُنيرُ عن حُجَّتِه وصحَّةِ ما يزعم، فهو يجادل بغير عقل صحيح، ولا نقل صحيح، بل بمجرد الرأي والهوى.

﴿ثانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾.

حال كون هذا الذي يجادل في الله ثاني عطفه، كناية عن الكبر، معرضًا عن الحق، والعِطفُ: الجانب؛ وهذه الآية كما قال لقمان لابنه: ﴿وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾ [لقمان: ١٨]، أي: لا تميله إعراضًا عنهم وكبرًا عليهم.

قال ابن عباسٍ في قولِه: ﴿ثانِيَ عِطْفِهِ﴾: مُسْتَكبِرًا في نفسِه.[١]

وعنه قال: يُعْرِضُ عن ذِكْرِي.[٢]

وقال ابن زيدٍ: لَاوِيًا رأسَه، مُعْرِضًا مُوَلِّيًا، لا يريدُ أن يسمعَ ما قيل له.[٣]

﴿لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾.

تعليل للمجادلة بالباطل؛ أي: ليضل العباد عن الصراط المستقيم الموصل إلى مرضاة الله تعالى.

﴿لَهُ فِي الدُّنْيا خِزْيٌ﴾.

له في الدنيا الإهانة والذل، كما قال الحسن البصري: إنهم وإن طقطقت بهم البغال، وهملجت بهم البراذين، إن ذل المعصية لا يفارق قلوبهم، أبى الله إلا أن يذل من عصاه.

﴿وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ عَذابَ الْحَرِيقِ﴾.

ونذيقه يوم القيامة العذاب المحرق.

---

١ - تفسير الطبري (١٦/ ٤٦٩)

٢ - تفسير الطبري (١٦/ ٤٧٠)

٣ - تفسير الطبري (١٦/ ٤٧٠)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وجه تكرار قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ.....﴾. قال ابن عطية: وكرر هذه على جهة التوبيخ فكأنه يقول فهذه الأمثال في غاية الوضوح والبيان وَمِنَ النَّاسِ مع ذلك مَنْ يُجَادِلُ فكأن الواو واو الحال والآية المتقدمة الواو فيها واو عطف جملة الكلام على ما قبلها.[1]

﴿ذلِكَ بِما قَدَّمَتْ يَداكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾.

إشارةٌ إلى الخزيِ في الدنيا والعذابِ يوم القيامة، بسبب ما اقترفته من الكفر والصد عن سبيل الله، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾. وبأنَّ الله تعالى حكم عدل وعدله تعالى هو الذي اقتضى ذلك، لا الظُّلم.

وفي الكلام التفات من الغيبة إلى الخطاب، والإشارة بذلك لتهويل العذاب.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلى حَرْفٍ فَإِنْ أَصابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيا وَالْآخِرَةَ ذلِكَ هُوَ الْخُسْرانُ الْمُبِينُ (١١)﴾.

مناسبة الآية لما قبلها:

قال صاحب اللباب: لما بين حال المظهرين للشرك المجادلين فيه أعقبه بذكر المنافقين، فقال: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلى حَرْفٍ﴾، وهذا مثل لكونهم على قلق واضطراب في دينهم لا على سكون وطمأنينة، كالذي يكون على طرف العسكر، فإن أحس بغنيمة قرّ وإلا فَرّ، وهذا هو المراد بقوله ﴿فَإِنْ أَصابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلى وَجْهِهِ﴾.[2]

سبب نزول الآية:

قال المفسرون: نزلت في أعراب كانوا يقدمون على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة مهاجرين من باديتهم، وكان أحدهم إذا قدم المدينة فإن صح بها جسمه ونتجت فرسه مهرًا حسنا وولدت امرأته غلامًا وكثر ماله وما شيته رضي عنه واطمأن، وقال: ما أصبت منذ

١ – المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ١٠٩)

٢ – اللباب في علوم الكتاب (١٤/ ٣٠)

www.alukah.net
شبكة الألوكة

دخلت في ديني هذا إلا خيرًا، وإن أصابه وجع المدينة وولدت امرأته جارية وأجهضت رماكه وذهب ماله وتأخرت عنه الصدقة، أتاه الشيطان فقال: والله ما أصبت منذ كنت على دينك هذا إلا شرًّا، فينقلب على دينه، فأنزل الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلى حَرْفٍ﴾ الآية.[1]

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: «﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلى حَرْفٍ﴾. قَالَ: كَانَ الرَّجُلُ يَقْدَمُ الْمَدِينَةَ، فَإِنْ وَلَدَتِ امْرَأَتُهُ غُلَامًا، وَنُتِجَتْ خَيْلُهُ، قَالَ: هَذَا دِينٌ صَالِحٌ، وَإِنْ لَمْ تَلِدِ امْرَأَتُهُ وَلَمْ تُنْتَجْ خَيْلُهُ، قَالَ: هَذَا دِينُ سَوْءٍ».[2]

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلى حَرْفٍ﴾.

يقول الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ﴾. يعني المنافقين ﴿مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلى حَرْفٍ﴾. من يعبد الله على شك واضطراب، ولم يطمئن قلبه للدين، قال أبو عبيدة: أي: شاكًا، وأصل الحرف: الطرف، ومن كان متطرفًا لم يطمئن ولم يثبت وكذلك هذا إنما عبد الله على ضعف في العبادة كضعف القائم على حرف، لأنّه لم يتمكن في الدين.

﴿فَإِنْ أَصابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ﴾.

أي: من سعة في الرزق وصحة في الجسم ﴿اطْمَأَنَّ بِهِ﴾. وسكن إليه، ﴿وَإِنْ أَصابَتْهُ فِتْنَةٌ﴾. بلاء في الجسم وضيق في الرزق، ﴿انْقَلَبَ عَلى وَجْهِهِ﴾. ارتد ورجع إلى ما كان عليه من الكفر.

﴿خَسِرَ الدُّنْيا وَالْآخِرَةَ ذلِكَ هُوَ الْخُسْرانُ الْمُبِينُ﴾.

فلم يحصل منها على شيء، وخسر الآخرة لكفر بالله تعالى، ولا أعظم من هذا الخسران خسرنًا.

---

١ - أسباب النزول للواحدي (ص: ٣٠٧)

٢ - رواه البخاري- كتاب التفسير، سورة الحج، باب: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةَ﴾، حديث رقم: ٤٧٤٢

﴿يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَضُرُّهُ وَما لا يَنْفَعُهُ ذلِكَ هُوَ الضَّلالُ الْبَعِيدُ (١٢) يَدْعُوا لَمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ لَبِئْسَ الْمَوْلى وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ (١٣)﴾.

يَدعُو، أي: يعبد ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ﴾ إن لم يعبده، ﴿وَمَا لَا يَنْفَعُهُ﴾ إن عبده، وتكرار (ما)، لتأكيد عجز هذا الذي يعبده، فليسَ من شأنه الضرُّ والنفع.

﴿ذلِكَ هُوَ الضَّلالُ الْبَعِيدُ﴾.

﴿ذلِكَ﴾. إشارة إلى الدُّعاء ﴿هُوَ الضَّلالُ الْبَعِيدُ﴾. شأن هذا الذي يدعوا من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه، شأن من تنكب الطريق فأوغل في الانحراف حتى أبعدَ في التَّيهِ ضالاً عن الطَّريقِ.

﴿يَدْعُوا لَمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ﴾.

هَذِه الْآيَة من مشكلات الْقُرْآن، وقد أكثر النحاة والمفسرون القول فيها، وأرجح الأقوال فيها والله أعلم أن اللام في ﴿لَمَنْ﴾. لام القسم، وتقدير الكلام: يدعو والله الذي ضرُّه ﴿أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ﴾. وهذا يوم القيامة؛ لأنَّ ضرُّه يكون بإدخاله النار، ومعنى: ﴿أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ﴾. أن نفعه بعيد، والعرب تقول هذا عمن لا نفع عنده أصلًا، وهذا مثل قَوله تَعَالَى: ﴿ذلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾ [ق: ٣]؛ أَي: لَا رَجَعَ أصلا.

﴿لَبِئْسَ الْمَوْلى وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ﴾.

لبئس النَّاصِر، وَقيل: لبئس المعبود. وَقَوله: ﴿وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ﴾. أَي: الصاحب المخالط، والعرب تسمي الزوج عشيرًا لأجل المخالطة.

﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ ما يُرِيدُ (١٤) مَنْ كانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّماءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ ما يَغِيظُ (١٥) وَكَذلِكَ أَنْزَلْناهُ آياتٍ بَيِّناتٍ وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يُرِيدُ (١٦)﴾.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

مناسبة الآية لما قبلها:

لما ذكر الله تعالى المنافقين في الآيات السابقة وأخبر أن يعبدون الله على حرف، ذكر هنا المؤمنين الطائعين، ووعدهم بجنات تجري من تحتها الأنهار.

﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ ما يُرِيدُ﴾.

لما أضل الله تعالى من يعبد الله على حرف، وهدى المؤمنين، كأن سائلا سأل لم أضل هؤلاء وهدى هؤلاء فقال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ ما يُرِيدُ﴾، يهدي ويعصم من يشاء فضلًا، ويضل ويخذل من يشاء عدلًا، لا راد لأمره ولا معقب لحكمه، ولا يسأل عما يفعل.

﴿مَنْ كانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّماءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ ما يَغِيظُ﴾.

اختلف العلماء في ﴿يَنْصُرَهُ﴾، على من يعود الضمير؟ فقال: ابن عباس والكلبي ومقاتل والضحاك وقتادة وابن زيد والسدي: الضمير يعود على رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم، فيكون المعنى: من كان يظن أن الله لن ينصر مُحمدًا صلى الله عليه وسلم حتى يظهره على الدين كله فليمت غيظاً، ﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّماءِ﴾. السبب الحبل، والسماء السقف، أي فليشدُدْ حَبْلاً في السقف ﴿ثُمَّ لْيَقْطَعْ﴾. أي ثم ليقطع ذلك الحبل حتى يموت خنقًا، ﴿فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ ما يَغِيظُ﴾، ثم لينظر هل ذهب غيظه على الدين بهذا الذي فعله؟

وقال ابن عباس في روايةٍ عنه ومجاهد والضحاك: الهاء راجعةٌ إلى غير معين في قوله: ﴿مَنْ كَانَ يَظُنُّ﴾ وهو مَن يأس من رحمة الله وساء ظنُّه بربّه في حقِّ نفسه، وظنَّ أنه لن ينصره.

وسمَّى فعلَه كيدًا؛ لأنَّه حيثُ اجتهدَ فلم يقدِرْ إلَّا عليه، أو على سبيل الاستهزاء؛ لأنَّه ما كاد به إلا نفسَهُ.

﴿وَكَذلِكَ أَنْزَلْناهُ آياتٍ بَيِّناتٍ وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يُرِيدُ﴾.

أي: وكما وعدنا رسولنا بالنصر على أعدائه أنزلناه القرآن في غاية البيان والوضوح، وأما كفر من كفر بعد البيان والإيضاح فلأن الله يهدي من يريد.

والضمير في أَنْزَلْناهُ عائد على القرآن، وجاءت هذه الضمائر هكذا وإن لم يتقدم ذكر لشهرة المشار إليه نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾.[1]

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصارى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (١٧)﴾.

يخبر الله تعالى أن من تمام عدله أن يحكم بين عباده يوم القيامة، لاسيما وكل فريق يزعم أنه على الحق، وأنه إلى الله أقرب، وقد تقد الكلام على هذه الأصناف مستوفى في سورة البقرة.

﴿إِنَّ اللَّهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾.

ومن دلائل عدله تعالى أنه أحاط بكل شيء علمًا، فهو شهيد على أفعالهم، حفيظ لأقوالهم، عليم بسرائرهم؛ كما قال تعالى: ﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ وَما كُنَّا غائِبِينَ﴾ [الأعراف: ٧]، وهو أبلغُ وعيدٍ لمن كفر بالله تعالى وأشرك به.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّماواتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَما لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ ما يَشاءُ﴾.

يقول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾؛ أي: ألم تعلمْ علمًا يقومُ مَقامَ العَيانِ، أن الله يسجد لعظمته كل ما في السماوات وما في الأرض طوعًا وكرهًا؛ كما قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَظِلالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصالِ﴾ [الرعد: ١٥]، وقوله تعالى: ﴿مَنْ فِي السَّماواتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾، تغليب للعاقل على غير العاقل، وإلا فإن كل شيء يسجد

١ – سورة القدر: الآية/ ١

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لله تعالى؛ كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ ما فِي السَّماواتِ وَما فِي الْأَرْضِ مِنْ دابَّةٍ وَالْمَلائِكَةُ وَهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ﴾.[1]

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّماواتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَما لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ ما يَشاءُ (١٨)﴾.

وكما أخبرنا الله تعالى أن كل شيء يسجد له تعالى أخبرنا كذلك أن كل شيء يسبح بحمده؛ كما قال تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّماواتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كانَ حَلِيماً غَفُوراً﴾ [الإسراء: ٤٤]، وكما أننا لا نفقه تسبيحهم، فإننا لا نفقه سجودهم كذلك، وهو سجود حقيقي، لا كما يزعم بعض المفسرين أنه مجازي، وأن معناه الانقياد والمطاوعة، ولا كما يزعم بعضهم أن سجود هذه الكائنات هو سجود ظلها.

﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ﴾.

خص الله تعالى هذه الشمس والقمر والنجوم لأنها قد عُبدت من دون الله؛ كما قال تعالى: ﴿لا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [فصلت: ٣٧]، فبين تعالى أنها تسجد لخالقها، وأنها مسخرة بأمره.

﴿وَالْجِبالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ﴾.

نص الله تعالى عليها لاستبعاد كثير من الناس العبادة منها.

﴿وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ﴾.

وكثير من الناس يعبدون الله تعالى طواعية، ويسجدون له رغبة فيما عنده، ورهبة من عذابه.

﴿وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذابُ﴾.

---

١ - سورة النحل: الآية/ ٤٩

لإعراضهم عن عبادة الله تعالى، واستنكافهم عن السجود له.

﴿وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَما لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ ما يَشاءُ﴾.

ومن يهن الله بالشقاوة، فما له من مكرم يكرمه بالسعادة، فإنه تعالى يفعل ما يشاء بعباده من الإهانة والإكرام.

﴿هذانِ خَصْمانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيابٌ مِنْ نارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُؤُسِهِمُ الْحَمِيمُ (١٩) يُصْهَرُ بِهِ ما فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ (٢٠) وَلَهُمْ مَقامِعُ مِنْ حَدِيدٍ (٢١) كُلَّما أَرادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْها مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيها وَذُوقُوا عَذابَ الْحَرِيقِ (٢٢)﴾.

سبب نزول الآية:

اختلف العلماء في سبب نزول هذه الآية، فقال فريق نزلت في حمزة وعلي وعبيدة بن الحارث، وعتبة وشيبة ابني ربيعة، والوليد ابن عتبة، الذين تَبارَزوا يومَ بدرٍ.

عَنْ قَيْسٍ قَالَ: «سَمِعْتُ أَبَا ذَرٍّ يُقْسِمُ قَسَمًا: إِنَّ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾. نَزَلَتْ فِي الَّذِينَ بَرَزُوا يَوْمَ بَدْرٍ: حَمْزَةَ وَعَلِيٍّ وَعُبَيْدَةَ بْنِ الْحَارِثِ، وَعُتْبَةَ وَشَيْبَةَ ابْنَيْ رَبِيعَةَ وَالْوَلِيدِ بْنِ عُتْبَةَ».[1]

وعَنْ عَلِيٍّ قَالَ: فِينَا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ، وَفِي مُبَارِزَتِنَا يَوْمَ بَدْرٍ: ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾.[2]

وقال بعضهم نزلت في المؤمنين وأهل الكتاب اختصموا أيهم أولى بالله.

عن ابن عباسٍ قولَه: ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾. قال: هم أهلُ الكتابِ قالوا للمؤمنين: نحن أولى باللَّهِ وأقدمُ منكم كتابًا، ونبيُّنا قبلَ نبيّكم. قال المؤمنون: نحن أحقُّ باللَّهِ،

---

١ – رواه البخاري– كتاب المغازي، باب قتل أبي جهل، حديث رقم: ٣٩٦٩، ومسلم– كتاب التفسير، باب في قوله تعالى: ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾، حديث رقم: ٣٠٣٣

٢ – رواه البزار– حديث رقم: ٧١٥، والنسائي في السنن الكبرى– كتاب السير، باب المبارزة، حديث رقم: ٨٥٩٦

www.alukah.net
شبكة الألوكة

آمَنَّا بمحمدٍ صلى الله عليه وسلم، وآمَنَّا بنبيّكم، وبما أنْزَل اللَّهُ مِن كتابٍ، فأنتم تَعْرِفون كتابَنا ونبيَّنا، ثم تَرَكْتُموه وكفَرْتُم به حسدًا. وكان ذلك خصومتَهم في ربِّهم.[1]

وهذه الآية وإن كانت نزلت على سبب خاص، فإن تشمل جميع الكفار وجميع المؤمنين، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

﴿هذانِ خَصْمانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾.

الخصم، مصدر فلا يثنى إلا إذا اختلف النوعان، ووالنوعان هنا: المؤمنون، والكفار، وقوله: ﴿اخْتَصَمُوا﴾. جُمع لأن كلَّ فريق منهم جمعٌ، فحمل على المعنى؛ كما في قوله تعالى: ﴿فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ﴾ [النمل: ٤٥]، فهم فريقان كلُّ فريق خصم للآخر يخاصمه في دينه، ففريق يؤمنُ بالله تعالى، ويوحده ولا يشركُ به شيئًا، وينزهه عن النقائص، ويرجو رحمته ويخشى عذابه، وفريق لا يؤمن به، ولا يوحده، ولا يؤمن بوعده، ولا يرجو رحمته، ولا يخشى عذابه.

﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيابٌ مِنْ نارٍ﴾.

هذا بيان لفصل خصومتهم، وهو المراد بقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [الحج: ١٧]، ﴿قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيابٌ مِنْ نارٍ﴾. أي: فصلت لهم ثياب من نار تحيط بأجسادهم؛ كما يفصل الناس الثياب الملبوسة على قدر أجسادهم، وذكر بلفظ الماضي لأنه كائن لا محالة فهو كالثابت المتحقق.

﴿يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُؤُسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾.

يقول الله تعالى عن هؤلاء الكفار الذين فصلت لهم ثياب من نار على قدر أجسامهم: يصب من فوق رؤسهم الماء الحار المغلى بنار جهنم، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه

١ - تفسير الطبري (١٦/ ٤٩١)

وسلم، قَالَ: «إِنَّ الحَمِيمَ لَيُصَبُّ عَلَى رُءُوسِهِمْ فَيَنْفُذُ الحَمِيمُ حَتَّى يَخْلُصَ إِلَى جَوْفِهِ فَيَسْلِتُ مَا فِي جَوْفِهِ، حَتَّى يَمْرُقَ مِنْ قَدَمَيْهِ وَهُوَ الصَّهْرُ ثُمَّ يُعَادُ كَمَا كَانَ».[1]

﴿يُصْهَرُ بِهِ ما فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ﴾.

الصهر الإذابة، يقال: صهرت الشيء فانصهر، أي أذبته فذاب؛ أي: يُذاب به ما في بطونهم أي من الأمعاء والأحشاء والجلود من شدة حرارة ذلك الحميم.

﴿وَلَهُمْ مَقامِعُ مِنْ حَدِيدٍ﴾.

المقامع: جمع مِقمعة وهي ما يُقمع به، أي: يُكف بعنف، أي يضربون بسياط من حديد.

﴿كُلَّما أَرادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْها مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيها﴾.

كلما أراد هؤلاء الكفار الخروج من النار، مما نالهم من الغم ردوا إليها، والتنكير للتفخيم، والمراد من غمٍ عظيمٍ من غمومها.

﴿وَذُوقُوا عَذابَ الْحَرِيقِ﴾.

ويقال لهم: ذوقوا عذاب النار المحرق.

﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ يُحَلَّوْنَ فِيها مِنْ أَساوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤاً وَلِباسُهُمْ فِيها حَرِيرٌ (٢٣) وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلى صِراطِ الْحَمِيدِ (٢٤)﴾.

لما ذكر الله تعالى جزاء الكافرين المكذبين، ذكر الله تعالى هنا جزاء المؤمنين المتقين، كما هي عادة القرآن في المقارنة بين الفريقين، فأخبر الله تعالى عن حال أهل الإيمان يوم القيامة وما أعده الله تعالى لهم من الكرامة فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ يُحَلَّوْنَ فِيها مِنْ أَساوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤاً وَلِباسُهُمْ فِيها حَرِيرٌ﴾.

---

١ – رواه أحمد– حديث رقم: ٨٨٦٤، والترمذي– أبواب صفة جهنم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء في صفة شراب أهل النار، حديث رقم: ٢٥٨٢، والحاكم– كتاب التفسير، حديث رقم: ٣٤٥٨، بسند ضعيف

www.alukah.net
شبكة الألوكة

والأَساور: جمع أسورة، وأسورة جمع سوار، فهي جمع جمع، وهو ما يلبس في المعصم، وهي حلية أهل الجنة رجالا ونساء؛ ودل على ذلك ما رواه ثبت عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: سَمِعْتُ خَلِيلِي صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «تَبْلُغُ الْحِلْيَةُ مِنَ الْمُؤْمِنِ حَيْثُ يَبْلُغُ الْوَضُوءُ».[1]

قال ابن عطية: ومِنْ في قوله ﴿مِنْ أَساوِرَ﴾. هي لبيان الجنس ويحتمل أن تكون للتبعيض.[2]

﴿وَلِباسُهُمْ فِيها حَرِيرٌ﴾.

ولما ذكر الله تعالى لباس أهل النار فقال: ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيابٌ مِنْ نارٍ﴾. ذكر هنا لباس أهل الجنة، فقال: ﴿وَلِباسُهُمْ فِيها حَرِيرٌ﴾؛ كما قال تعالى في سورة الإنسان: ﴿عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ [الإنسان: ٢١]، وفي الصحيحين عن حُذَيْفَةَ قال: «سَمِعْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: لَا تَلْبَسُوا الْحَرِيرَ وَلَا الدِّيبَاجَ، وَلَا تَشْرَبُوا فِي آنِيَةِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، وَلَا تَأْكُلُوا فِي صِحَافِهَا؛ فَإِنَّهَا لَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَنَا فِي الْآخِرَةِ».[3]

وقال: ﴿وَلِباسُهُمْ فِيها حَرِيرٌ﴾. ولم يقُلْ ويلبسون فيها حريرًا للدِّلالةِ على أنَّ الحريرَ ثيابُهم المعتادة.

﴿وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ﴾.

يقول الله تعالى: ووفقوا إلى الكلام الطيب فلا يقولون إلا طيبًا ولا يسمعون إلا طيبًا، وهو سلام الملائكة وتهنئتهم في مقابلة قول الملائكة لأهل النار ﴿وَذُوقُوا عَذابَ الْحَرِيقِ﴾.

﴿وَهُدُوا إِلى صِراطِ الْحَمِيدِ﴾.

---

١ - رواه مسلم- كتاب الطهارة، باب: تبلغ الحلية حيث يبلغ الوضوء، حديث رقم: ٢٥٠

٢ - المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ١١٥)

٣ - رواه البخاري- كتاب الأطعمة، باب الأكل في إناء مفضض، حديث رقم: ٥٤٢٦، ومسلم- كتاب اللباس والزينة، باب تحريم استعمال إناء الذهب والفضة، حديث رقم: ٢٠٦٧

الحميد هو الله تعالى، وصراطه هو الطريق الموصل لمرضاته وجنته، ويحتمل أن يكون الحميد نعتًا للصراط؛ أي: وفقوا إلى الطريق المحمود لأن عاقبته الجنة.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (٢٥) وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لا تُشْرِكْ بِي شَيْئاً وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ (٢٦) وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجالاً وَعَلى كُلِّ ضامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ (٢٧) لِيَشْهَدُوا مَنافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُوماتٍ عَلى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعامِ فَكُلُوا مِنْها وَأَطْعِمُوا الْبائِسَ الْفَقِيرَ (٢٨) ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ (٢٩)﴾.

مناسبة الآيات لما قبلها:

لما ذكر الله تعالى جزاء الكافرين وما أعده الله تعالى لهم من العذاب، ذكر الله تعالى هنا شيئًا من جرائم هؤلاء الكفار، وأن سبب ذلك العذاب كفرهم بالله تعالى وصدهم عن سبيله، وعن المسجد الحرام.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾.

يقول الله تعالى: إن الذين كفروا فيما مضى، ﴿وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾، ويمنعون الناس عن الدخول في الإسلام، وعبر عن الصد بصيغة المضارع لبيان استمرارهم في الصد، كقولهم: فلان يعطي ويمنع، فالصدُّ منهم دائم متسمر.

﴿وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ﴾.

أي: ويصدون المؤمنين عن الحرم، قال ابن عباس: كانوا يرون الحرم كلَّه مسجدًا. وقيل: المراد نفس المسجد الحرام، وقد جعله الله للناس سواءً، ﴿الْعَاكِفُ﴾؛ أي: المقيم، ﴿وَالْبَادِ﴾: الآتي إليه من البادية، فلا فرق فيه بين المقيم فيه الملازم له، والنائي عنه البعيد الدار منه.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قال مجاهد: أهل مكة وغيرهم فيه سواء في المنازل.[1]

﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾.

الفعل يرد لا يعدى بالباء، وعدي هنا بالباء لأنه ضمن معنى الهم، أي: ومن يرد أن يهم فيه بظلم نذقه من عذاب أليم.

يقول تعالي: ومن يَهُمّ فيه بأمر فظيع من المعاصي الكبار متعمدًا، وليس متأولًا.

والإلحاد في اللغة هو الميل، وفي الشرع: الميل عن الحق إلى الباطل، فكان عامًا للشرك ولكلِّ معصية.

واختلف العلماء في المراد بقوله: ﴿بِظُلْمٍ﴾، فقيل: المراد بالظلم الشرك؛ قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿بِظُلْمٍ﴾: بشرك.

وقال مجاهد وقتادة: أن يعبد فيه غير الله.

وعن ابن عباس: ﴿بِظُلْمٍ﴾: يعنى: أن تَسْتَحِلَّ مِن الحرامِ ما حَرَّم اللَّهَ عليك مِن لسانٍ أو قتلٍ، فتَظْلِمَ مَن لا يَظْلِمُك، وتَقتُلَ مَن لا يقتُلُك، فإذا فعَل ذلك فقد وجَب له عذابٌ أليمٌ.[2]

وخبر إن محذوف لدلالة جواب الشرط عليه تقديره: إن الذين كفروا ويصدون عن المسجد الحرام نذيقهم من عذاب أليم وكل من ارتكب فيه ذنبًا فهو كذلك.[3]

﴿وَإِذْ بَوَّأْنا لِإِبْراهِيمَ مَكانَ الْبَيْتِ أَنْ لا تُشْرِكْ بِي شَيْئاً﴾.

---

١ - تفسير الطبري (١٦/ ٥٠٣)

٢ - تفسير الطبري (١٦/ ٥٠٧)

٣ - مدارك التنزيل وحقائق التأويل (٢/ ٤٣٥)

يقول الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم: واذكر يا محمد ﴿إِذْ بَوَّأْنا لِإِبْراهِيمَ مَكانَ الْبَيْتِ﴾، أي: بيَّنَّا له مكان البيت وأرشدناه إليه؛ ليكون مباءة له ولعقبه يرجعون إليه ويحجونه، ﴿أَنْ لا تُشْرِكْ بِي شَيْئاً﴾، (أن) مفسِّرةٌ لقوله: ﴿بَوَّأْنا﴾؛ لأن الغاية من المباءة العبادة، وفيه تقريع لمشركي قريش الذين يعيشون في كنف بيت الله العتيق، ويعبدون غيره، وفي الآية دليل على أن إبراهيم عليه السلام، هو أول من بنى البيت العتيق، وأنه لم يُبن قبله؛ ودل على ذلك أيضًا ما ثبت في الصحيحين عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: «قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّ مَسْجِدٍ وُضِعَ فِي الْأَرْضِ أَوَّلُ؟ قَالَ: الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ. قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: الْمَسْجِدُ الْأَقْصَى. قُلْتُ: كَمْ بَيْنَهُمَا؟ قَالَ: أَرْبَعُونَ سَنَةً، وَأَيْنَمَا أَدْرَكَتْكَ الصَّلَاةُ فَصَلِّ، فَهُوَ مَسْجِدٌ».[1]

﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾.

وطهِّر بيتي عن الأوثان والأقذار، قال مجاهد وقتادة: من الشرك، ﴿لِلطَّائِفِينَ﴾، لأجل الطائفين بالبيت، وبدأ بالطواف لأنه أخص العبادات بالبيت، ولا يفعل ببقعة من الأرض سواها، ﴿وَالْقائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾. أي: والمصلين لله تعالى فيه، وقرن الطواف بالصلاة؛ لأنهما لا يشرعان إلا مختصين بالبيت، فالطواف عنده، والصلاة إليه.

وفصل بين ﴿الْقائِمِينَ﴾، ﴿وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾، بالواو، وجمع بين ﴿الرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾، بغير واو؛ لأن القيام تعظيم الله تعالى، والركوع والسجود تذلل له، فاتحد هذان وغايرهما الأول.

﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ﴾.

في الكلام حذف اختصار تقديره: وعَهِدنا إليه أيضًا أن ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ﴾. أي: نادِ في الناسِ أن حُجُّوا أيها الناسُ بيتَ اللَّهِ الحرامَ.

عن ابن عباسٍ، قال: لَمَّا فرَغ إبراهيمُ مِن بِناءِ البيتِ، قيلَ له: أذِّن في الناسِ بالحجِّ. قال: ربِّ، وما يَبْلُغُ صَوْتى؟ قال: أذِّنْ وعليَّ البَلاغُ. فنادَى إبراهيمُ: أيها الناسُ، كُتِب عليكم الحجُّ

١ – رواه البخاري– كتاب أحاديث الأنبياء، باب، حديث رقم: ٣٣٦٦، ومسلم– كتاب المساجد ومواضع الصلاة، حديث رقم: ٥٢٠

www.alukah.net
شبكة الألوكة

إلى البيتِ العتيقِ فحُجُّوا. قال: فسَمِعَه ما بيَن السماءِ والأرضِ، أفلا تَرَى الناسَ يَجِيئون مِن أَقْصَى الأَرضِ يُلبُّون.[1]

﴿يَأْتُوكَ رِجالاً﴾.

أي: يأتوك مشاة على أرجلهم، قال ابنُ عباسٍ: ﴿يَأْتُوكَ رِجَالًا﴾: على أَرْجُلِهم. وقال: ما آسَى على شيءٍ فاتَنِى، إلا ألَّا أكونَ حَجَجْتُ ماشيًا، سَمِعتُ اللهَ يقولُ: ﴿يَأْتُوكَ رِجالاً﴾.[2]

﴿وَعَلى كُلِّ ضامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾.

أَي: وعَلى كل بعير ضامر، والضامر هُوَ المهزول، قال ابنُ عباسٍ: ﴿وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ﴾: الإبل.[3]

﴿يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾.

يأتين: صفة لـ ﴿كُلِّ ضَامِرٍ﴾؛ لأنه في معنى الجمع، ﴿مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾؛ أي: من كل طريق بعيد.

﴿لِيَشْهَدُوا مَنافِعَ لَهُمْ﴾.

أي: ليحضروا، والشهود: الحضور، مَا نَدَبَهُم اللَّهُ إليه مما فيه النفع لهم في آخرتهم، وما فيه النفع لهم في دنياهم من التجارة في موسم الحج؛ ودل على ذلك قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلا مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٨]، ولفظ: ﴿مَنافِعَ﴾، نكرة في سياق الإثبات يفيد الإطلاق، فيشمل ذلك المنافع الدنيوية كالتجارة، والمنافع الأخروي من الأجور المترتبة على الحج؛ وتنكيرها للتعظيم والتكثير؛ أي: مَنافِعَ عظيمة الخطر كثيرة العدد.

---

١ - رواه ابن جرير (١٦/ ٥١٥)، وابن أبي شيبة- كتاب الفضائل، ما ذكر مما أعطى الله إبراهيم عليه السلام وفضله به، حديث رقم: ٣١٨١٨، والحاكم- كتاب التفسير، تفسير سورة الحج، حديث رقم: ٣٤٦٤، بسند صحيح

٢ - تفسير الطبري (١٦/ ٥١٨)

٣ - تفسير الطبري (١٦/ ٥١٩)

عن ابنِ عباسٍ قال: هى الأسواقُ.[١]

وعن مجاهدٍ قال: الأجرَ فى الآخرةِ، والتجارةَ في الدنيا.[٢]

﴿وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُوماتٍ عَلى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعامِ﴾.

قيل: المراد بذكر اسم الله ذكر التسمية عند الذبح والنحر، والراجح أن الأمر بذكر الله تعالى يتناول التسمية عند الذبح والنحر، والذكر المطلق؛ لقوله تعالى: ﴿فَإِذا قَضَيْتُمْ مَناسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آباءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْراً﴾ [البقرة: ٢٠]؛ وَعَنْ نُبَيْشَةَ الْهُذَلِيّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «أَيَّامُ التَّشْرِيقِ أَيَّامُ أَكْلٍ وَشُرْبٍ، وَذِكْرٍ لِلَّهِ».[٣]

وعَنْ ابْنِ عُمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: «مَا مِنْ أَيَّامٍ أَعْظَمُ عِنْدَ اللهِ وَلَا أَحَبُّ إِلَيْهِ الْعَمَلُ فِيهِنَّ مِنْ هَذِهِ الْأَيَّامِ الْعَشْرِ، فَأَكْثِرُوا فِيهِنَّ مِنَ التَّهْلِيلِ وَالتَّكْبِيرِ وَالتَّحْمِيدِ».[٤]

واختلف العلماء في المراد بالأيام المعلومات، فقيل: هي أيام العشر الأول من ذي الحجة؛ قال ابنُ عَبَّاسٍ: وَاذْكُرُوا اللهَ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ: أَيَّامُ الْعَشْرِ، وَالْأَيَّامُ الْمَعْدُودَاتُ: أَيَّامُ التَّشْرِيقِ.[٥]

وقيل هي أيام التشريق يوم النحر وثلاثة أيام بعده؛ فعن ابن عباس وابن عمر: الأيام المعلومات: يوم النحر وثلاثة أيام بعده.[٦]

والقول بأنها يوم النحر وثلاثة أيام بعده لقوله بعدها: ﴿عَلى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعامِ﴾.

---

١ – تفسير الطبري (١٦/ ٥٢٠)

٢ – تفسير الطبري (١٦/ ٥٢١)

٣ – رواه أحمد– حديث رقم: ٢٠٧٢٢، مسلم– كتاب الصيام، باب تحريم صوم أيام التشريق، حديث رقم: ١١٤١، واللفظ لأحمد.

٤ – رواه أحمد– حديث رقم: ٦١٥٤، بسند صحيح

٥ – رواه البخاري تعليقًا– كتاب العيدين، باب فضل العمل في أيام التشريق.

٦ – رواه ابن أبي حاتم– رقم: ١٣٨٩٣

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿فَكُلُوا مِنْها وَأَطْعِمُوا الْبائِسَ الْفَقِيرَ﴾.

الأمر هنا للإباحة، مخالفة لما كان عليه أهل الجاهلية من التحرج من الأكل من الهدي؛ روى ابن أبي حاتم عن إبراهيم قال: كان المشركون لا يأكلون من ذبائح نسائكهم، فأنزل الله فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير فرخص للمسلمين، فمن شاء أكل ومن شاء لم يأكل.

والبائس: الذي أصابه بأس؛ أي: شدة والفقير: المحتاج.

﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾.

أي: ثم ليزيلوا عنهم أدرانهم عند الإحلال؛ قال مجاهد: التفث: حلق الرأس والعانة، وقص اللحية والشارب والأظفار، ورمي الجمار.

وعن ابن عمرَ، قال: التَّفَثُ؛ المناسكُ كلُّها.[1]

وعن ابنِ عباسٍ قولَه: ﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ﴾. يقولُ: نُسُكَهم.[2]

﴿وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ﴾: أداء حجهم وما فيه من أعمال البر، والعرب تقول لكل من خرج عما وجب عليه: وفى بنذره وإن لم ينذر، أو: ما ينذرونه من أعمال البر في حجهم.

عن ابنِ عباسٍ قولَه: ﴿وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ﴾: نحرَ ما نذَروا مِن البُدنِ.[3]

وقال مجاهد: نذر الحجّ والهَدى، وما نذَر الإنسانُ على نفسِه من شيٍ يكونُ فى الحجّ.

﴿وَلْيَطَّوَّفُوا﴾. طواف الزيارة الذي هو ركن الحج، ويقع به تمام التحلل. وقيل: طواف الوداع.

﴿بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾: القديم؛ لأنه أول بيت وضع للناس، وقيل: العتيق: الكريم، ومنه: عتاق الخيل، لكرائمها.

---

١ - تفسير الطبري (١٦/ ٥٢٦)

٢ - تفسير الطبري (١٦/ ٥٢٨)

٣ - تفسير الطبري (١٦/ ٥٢٨)

﴿ذلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُماتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعامُ إِلَّا ما يُتْلى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ (٣٠) حُنَفاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّما خَرَّ مِنَ السَّماءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكانٍ سَحِيقٍ (٣١) ذلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعائِرَ اللَّهِ فَإِنَّها مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ (٣٢) لَكُمْ فِيها مَنافِعُ إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّها إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ (٣٣)﴾.

﴿ذلِكَ﴾ أي: الأمر الذي أمرنا به من الطاعات في أداء المناسك، مِن قضاءِ التَّفثِ، والوفاءِ بالنُّذورِ، والطوافِ بالبيتِ العتيقِ، وهو الفرضُ الواجبُ عليكم أيُّها الناسُ فى حجِّكم، وقيل: (هذا)، و(ذلك) من أسماء الإشارة يؤتى بها للفصل بين الكلامين، أو بين وجهي كلام واحد، كقوله تعالى: ﴿هذا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ﴾ [ص: ٥٥]، وكقول زهير بعد تقدم جمل في وصف هرم بن سنان:

هذَا وَلَيْسَ كَمنْ يَعْيَا بِخُطَّتِهِ **** وَسْطَ النَّدِيّ إِذَا نَاطِقٌ نَطَقَا
*

﴿وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُماتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾.

الحرمات: ما حرُم انتهاكُها، ومُنع عن ارتكابها، يقول تعالى: ومن يجتنب محارم الله فلم ينتهكها، ويتقي حدود الله أن يقع فيها، ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾. أي: فله عند الله تعالى الأجر الجزيل، والخير الكثير، فكما يكون الثواب على الطاعات، يكون كذلك على ترك المحرمات واجتناب المحظورات.

﴿وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعامُ إِلَّا ما يُتْلى عَلَيْكُمْ﴾.

لما أمر الله تعالى بتعظيم حرمات الله، وحرم انتهاكها، بين أن الأكل من بهيمة الأنعام ليس من الحرمات المذكورة ولا يقاس على صيد البر، فنص على إباحتها للمحرم، فقال: ﴿وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعامُ﴾. أي: وأحلَّ اللهُ لكم الأنعامَ، فلم يحرِّمْ عليكم البحيرة، ولا السائبة، ولا والوصيلة، ولا الحامي، كما يزعم أهلُ الجاهليةِ، ﴿إِلَّا ما يُتْلى عَلَيْكُمْ﴾. المستثنى هنا هو ما

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ذُكر في قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلا مَا ذَكَّيْتُمْ..﴾ الآية [المائدة: ٣]، وقوله: ﴿وَلَا تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسم الله عَلَيْهِ﴾ [الأنعام: ١٢١]، ويكون الاستثناء متصلًا، ويدخل فيه قوله: ﴿قُلْ لا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّماً عَلى طاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلاّ أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَماً مَسْفُوحاً أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقاً أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ [الأنعام: ١٢١]، ويكون الاستثناء على هذا منقطعًا.

﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ﴾.

الفاء في: ﴿فَاجْتَنِبُوا﴾، هي فاء السببية؛ أي: إلا ما يتلى عليكم فاجتنبوه، واجتنبوا ما أعظم منه إثمًا، وأشد منه خطرًا وهو ﴿الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ﴾، والرجس هو الخبث الذي ينفر الإنسان عنه بطبعه، و(من) بيانية؛ أي: اجتنبوا الرجس الذي هو الأوثان، ووصفها الله تعالى بالرجس تنفيرًا عنها كما في قوله: ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ﴾.[1]

﴿وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾.

هذا من باب عطف العام على الخاص؛ فإن الشرك من باب الزور؛ لأن المشرك يزعم أن الأوثان آلهة تستحق العبادة، وكرر الأمر بالاجتناب لبيان أن قول الزور محرم أصالة، وقد قرن النبي صلى الله عليه وسلم قول الزور بالشرك بالله تعالى؛ فعَنْ أَبِي بَكْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ، ثَلَاثًا، قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: الْإِشْرَاكُ بِاللهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ وَجَلَسَ وَكَانَ مُتَّكِئًا، فَقَالَ أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ قَالَ: فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا: لَيْتَهُ سَكَتَ».[2]

﴿حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ﴾.

---

١ - سورة المائدة: الآية/ ٩٠

٢ - رواه البخاري- كتاب الشهادات، باب ما قيل في شهادة الزور، حديث رقم: ٢٦٥٤

الحنف من الأضداد، تطلق على الاستقامة، وتطلق على الميل، والمعني: مستقيمين على أمر الله تعالى، مائلين إلى الحق، غير مشركين بالله تعالى.

﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّماءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ﴾.

أي: فمَثَلُه في بُعده من الهدى وهلاكِه، كمن سقط من السماء، ﴿فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ﴾، فتستلبه فتقطعه بمخالبها، ويتفرق مزعًا في حواصلها، والخطف: استلاب الشيء بسرعة.

﴿أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكانٍ سَحِيقٍ﴾.

أو تسقطه الريح في بعض المهالك البعيدة، والسحيق البعيد، ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم: «فَأَقُولُ: سُحْقاً سُحْقاً». أي بُعدًا بُعدًا.

﴿ذلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعائِرَ اللَّهِ فَإِنَّها مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾.

أي: الذي ذكرت من اجتناب الرجس، وقول الزور، وأمور الحج، وشعائر جمع شَعِيرة، وهي أمور الحج؛ قال ابن زيد: منها رميُ الجمار، والسعيُ بين الصفا والمروة، ونحوُها، ﴿فَإِنَّها مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾. أي: هذه الفعلة، وهي التَّعظِيم من تقوى القلُوب.

وقال ابن عباس ومجاهد: هي البُدْن، وتعظيمُها: استسمانُها واستحسانُها.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿ذلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعائِرَ اللَّهِ﴾. قَالَ: الاستسمان والاستحسان والاستعظام.[1]

﴿لَكُمْ فِيها مَنافِعُ إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّها إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾.

تقدم الاختلاف في المراد بالشعائر، فمن قال المراد بالشعائر: أمور الحج، أي: كلُّ عملٍ أو مكانٍ جعلَه اللهُ علمًا لمناسكِ الحجِّ، ﴿لَكُمْ فِيها مَنافِعُ﴾. تقدم الكلام عن المنافع عند قوله

١ - تفسير ابن أبي حاتم- رقم: ١٣٩٢٢

www.alukah.net
شبكة الألوكة

تعالى: ﴿لِيَشْهَدُوا مَنافِعَ لَهُمْ﴾، وأنها تشمل المنافع الدنيوية والأخروية. وقوله: ﴿ثُمَّ مَحِلُّها إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾. أي: مَحِلُّ إحرامها بالطواف بالبيت.

ومن قال: المراد بالشعائر البدن، فالمعنى: لكم أيُّها الناسُ في البدنِ منافعُ.

وقوله: ﴿إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾. أي: أحل الله الانتفاع بلحومها، وألبانها، وأشعارها، وأوبارها، وصوفها، إلى أن يقلدها، ويسميها هديًا.

أما ركوبها وشرب ألبانها، فلا بأس به؛ لما ثبت عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: «أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم رَأَى رَجُلًا يَسُوقُ بَدَنَةً، فَقَالَ: ارْكَبْهَا، قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّهَا بَدَنَةٌ، فَقَالَ: ارْكَبْهَا وَيْلَكَ! فِي الثَّانِيَةِ، أَوْ فِي الثَّالِثَةِ».[1]

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾، قَالَ: ظهورها وأوبارها وأشعارها وأصوافها، إِلَى إِنَّ تسمى هديًا. فإذا سميت هديًا ذهبت المنافع، ﴿ثُمَّ مَحِلُّها﴾. يَقُولُ: حين يسمى إلى البيت العتيق.[2]

وعن مجاهدٍ قولَه: ﴿لَكُمْ فِيها مَنافِعُ إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾. قال: في البُدنِ؛ لحومُها وألبانُها وأشعارُها وأوبارُها وأصوافُها، قبلَ أن تسمَّى هديًا.[3]

﴿إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾.

أي: إلى أن تُنحَرَ.

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنا مَنْسَكاً لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعامِ فَإِلهُكُمْ إِلهٌ واحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ (٣٤) الَّذِينَ إِذا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلى ما أَصابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلاةِ وَمِمَّا رَزَقْناهُمْ يُنْفِقُونَ (٣٥) وَالْبُدْنَ جَعَلْناها لَكُمْ مِنْ

---

١ - رواه البخاري- كتاب الحج، باب ركوب البدن، حديث رقم: ١٦٨٩، ومسلم- كتاب الحج، باب جواز ركوب البدنة المهداة لمن احتاج إليها، حديث رقم: ١٣٢٢

٢ - تفسير ابن أبي حاتم- رقم: ١٣٩٢٢

٣ - تفسير الطبري (١٦/ ٥٤٣)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

شَعائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيها خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْها صَوافَّ فَإِذا وَجَبَتْ جُنُوبُها فَكُلُوا مِنْها وَأَطْعِمُوا الْقانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذلِكَ سَخَّرْناها لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٣٦) لَنْ يَنالَ اللَّهَ لُحُومُها وَلا دِماؤُها وَلكِنْ يَنالُهُ التَّقْوى مِنْكُمْ كَذلِكَ سَخَّرَها لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلى ما هَداكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ (٣٧)﴾.

يقول الله تعالى: ولكلِّ أهل ملة سَلَفوا قبلكم شَرَعْنا قرابين ليذكروا اسم الله عليها عند ذبحها على سبيل التقرّب إلى الله تعالى، فليس الهدي والأضاحي خاصة بهذه الأمة؛ وخص بهيمة الأنعام؛ لأنها المشروعة في القُرَب.

وقرأ جمهور القراء: ﴿مَنْسَكاً﴾، بفتح السين، فيكون مصدرًا بمعنى النسك؛ أي: الذبح، وقرأ حمزة والكسائي وخلف: ﴿مَنْسِكاً﴾، أي: مكانًا للذبح؛ مثل مجْلِس لمَكَان الجُلُوس.

﴿فَإِلهُكُمْ إِلهٌ واحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا﴾.

الفاء هي فاء السببية، والمعنى: لما كانت الغاية من الذبح أن يذكر اسم الله على الذبائح، فاذكروا اسم الله وحده سموا على الذَّبَائِح؛ فَإِن إِلَهكُم وإله من سلف قبلكم إِلَه وَاحِد، فَلهُ أَخْلصُوا.

﴿وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ﴾.

أي: وبشر المتواضعين المطمئنّين إلى وعد الله، الخاشعين له، والخبت ما انخفض من الأرض.

قال ابن عباس وقتادة: المخبت المتواضع الخاشع، قال مجاهد: المطمئنين، وقال السدي: الوجلين.

وقال عمرو بن أوس: المخبتون: الذين لا يَظلمون، وإذا ظُلموا لم ينتصروا.

﴿الَّذِينَ إِذا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الوجل: عدم الطمأنينة؛ أي: الذين إذا ذكرت عَظمَة الله وَقدرته لم تطمئِن قُلُوبهم إِلَى مَا قدموه من الطَّاعَة، وظنوا أَنهم مقصرون فاضطربوا من ذَلِك؛ وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلى رَبِّهِمْ راجِعُونَ﴾.[1]

﴿وَالصَّابِرِينَ عَلى ما أَصابَهُمْ﴾.

من أقدار الله المؤلمة.

﴿وَالْمُقِيمِي الصَّلاةِ﴾.

الذين يؤدونها في أوقاتها، بأركانها وشروطها، وواجباتها.

﴿وَمِمَّا رَزَقْناهُمْ يُنْفِقُونَ﴾.

أي: وينفقون من بعض ما رزقناهم، أداءً للزكاة، وبذلًا في سبيل الله بغير إيجاب.

﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْناها لَكُمْ مِنْ شَعائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيها خَيْرٌ﴾.

البدن جمع بدنة، وهي الإبل المسمنة للنحر، والبدنُ الضَّخمُ مِن كلِّ شيءٍ، ثم كثر استعمال البدن فيما يتخذ للنحر، سمينة كانت أو مهزولة. ﴿جَعَلْناها لَكُمْ مِنْ شَعائِرِ اللَّهِ﴾، أي: من أعلام دين الله تعالى، ﴿لَكُمْ فِيها خَيْرٌ﴾، أي: لكم فيها نفعٌ في الدنيا وأجرٌ في الآخرة.

﴿فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْها صَوافَّ﴾.

أي: فاذكروا اسم الله عند نحرها، حال قيامها على ثلاثة قوائم معقولة اليد اليسرى.

عن ابن عباس في قوله: ﴿فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْها صَوافَّ﴾، قال: قيام على ثلاث قوائم، معقولة يدُها اليسرى، يقول: "بسم الله والله أكبر، اللهم منك ولك".[2]

---

١ - سورة المؤمنون: الآية/ ٦٠

٢ - تفسير الطبري (١٦/ ٥٥٦)

وعَنْ زِيَادِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ: «رَأَيْتُ ابْنَ عُمَرَ رضي الله عنهما: أَتَى عَلَى رَجُلٍ قَدْ أَنَاخَ بَدَنَتَهُ يَنْحَرُهَا، قَالَ: ابْعَثْهَا قِيَامًا مُقَيَّدَةً، سُنَّةَ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم».[1]

وعَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم وَأَصْحَابَهُ كَانُوا «يَنْحَرُونَ الْبَدَنَةَ مَعْقُولَةَ الْيُسْرَى قَائِمَةً عَلَى مَا بَقِيَ مِنْ قَوَائِمِهَا».[2]

﴿فَإِذا وَجَبَتْ جُنُوبُها﴾.

الوجوب: السقوط؛ أي: فإذا سقطتْ على الأرضِ، وهو هنا كنايةٌ عن الموت، وفي الحديث: «كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يُصَلِّي الظُّهْرَ بِالْهَاجِرَةِ، وَالْعَصْرَ وَالشَّمْسُ نَقِيَّةٌ، وَالْمَغْرِبَ إِذَا وَجَبَتْ».[3]

﴿فَكُلُوا مِنْها وَأَطْعِمُوا الْقانِعَ وَالْمُعْتَرَّ﴾.

فكلوا من تلك البدن، والأمر هنا للإباحة، ﴿وَأَطْعِمُوا الْقانِعَ﴾: أي: الرَّاضيَ بما عنده وبما يُعطى من غير مسألة، يقال: قَنَعَ يَقْنَع قناعةً أي: تعفف ببلغته واستغنى، ﴿وَالْمُعْتَرَّ﴾: المتعرِّضَ للسُّؤالِ.

وقيل: ﴿الْقانِعَ﴾: السائل، ويقال له القَنِعُ، يقال: قَنَعَ يَقْنَع قُنُوعًا أي: سأل. قال الشماخ:

لَمَالُ المَرْءِ يُصْلِحه فيُغْنِي **** مَفَاقِرُهُ أَعَفُّ مِنَ القُنُوْعِ *

أي: أعف من السؤال.

و ﴿الْمُعْتَرَّ﴾: الذي يتعرض ولا يسأل.

---

١ – رواه البخاري– كتاب الحج، باب نحر الإبل مقيدة، حديث رقم: ١٧١٣

٢ – رواه أبو داود– كتاب المناسك، باب كيف تنحر البدن، حديث رقم: ١٧٦٧، بسند صحيح

٣ – رواه البخاري– كتاب مواقيت الصلاة، باب وقت المغرب، حديث رقم: ٥٦٠، ومسلم– كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب استحباب التبكير بالصبح في أول وقتها، حديث رقم: ٦٤٦، عن جابر رضي الله عنه.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿كَذلِكَ سَخَّرْناها لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

أي: مثل ما وصفنا من نحرها قيامًا، سخرناها لكم نعمة منا عليكم لتتمكنوا من نحرها مع عظمها وقوتها ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾. أي: لتشكروا نعمة الله عليكم.

﴿لَنْ يَنالَ اللَّهَ لُحُومُها وَلا دِماؤُها وَلكِنْ يَنالُهُ التَّقْوى مِنْكُمْ﴾.

أي: لن يصيب رضا الله اللحومُ المتصدَقُ بها ولا الدماءُ المهراقةُ بالنحر، والمراد أصحاب اللحوم والدماء، والمعنى: لن تصلوا إلى رضا الله باللحوم ولا بالدماء، وإنَّما تصلون إليه بالتقوى.

﴿كَذلِكَ سَخَّرَها لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلى ما هَداكُمْ﴾.

أي: هكذا سخَّر الله لكم البُدنَ، ﴿لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلى ما هَداكُمْ﴾، أي: لتُعظِّموا اللهَ على توفيقه لكم بأن هداكم للإسلام، ويسر لكم النُّسُك في حَجِّكم.

وعُدِّي التكبير بـ (على) لتضمنه معنى الشكر، أي: لتشكروا الله بتكبيركم على ما هداكم إليه من الدين، وأرشدكم له من مناسك الحج.

﴿وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾.

أي: الذين بلغوا الغاية في صحة الاعتقاد، والعبادات، والأخلاق، وترك ذكر المُبَشَّر به للإشارة إلى أنَّه ممَّا لا يدرك العباد كنهه؛ وليذهب العقل فيه كل مذهب.

﴿إِنَّ اللَّهَ يُدافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ (٣٨) أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ (٣٩) الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاّ أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَواتٌ وَمَساجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (٤٠) الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عاقِبَةُ الْأُمُورِ (٤١)﴾.

مناسبة الآيات لما قبلها:

لما أخبر الله تعالى عن المشركين أنهم يصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ (٢٥)﴾، بين سبحانه أن من عنايته بأوليائه المؤمنين، دفع غائلة هؤلاء المشركين عنهم، وحفظهم من كيدهم، ليتمكنوا من أداء حجهم الذي أمرهم الله تعالى به.

﴿إِنَّ اللَّهَ يُدافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾.

يقول الله تعالى: إن الله يدفع غائلة المشركين عن عباده المؤمنين، ويكفيهم شرورهم.

عَنْ قَتَادَة قَالَ: والله مَا يضيع الله رَجُلاً قط حفظ له دينه.[١]

قرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب: ﴿يَدفَعُ﴾، بفتح الياء، وإسكان الدال، وحذف الألف، وفتح الفاء، وقرأ الباقون: ﴿يُدافِعُ﴾، بضم الياء، وفتح الدال، وألف بعدها، وكسر الفاء، والمفاعلة هنا لقصد المبالغة في الدّفع عن المؤمنين، وليست على بابها، بل هي من جانب واحد مثل: سافر، وعاقب.

﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾.

بيان لما كان عليه المشركون من المبالغة في الخيانة، والغدر، والكفر، و ﴿خَوَّانٍ﴾، و ﴿كَفُورٍ﴾، صيغة مبالغة؛ أي: كثير الخيانة، والكفر.

قال ابن عباس: يريد: خانوا الله، وجعلوا معه شريكًا، وكفروا نعمه.[٢]

﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾.

كان المشركون في مكة يؤذون أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيشكون ذلك فيقول لهم النبي صلى الله عليه وسلم: "اصبروا فإنّي لم أؤمر بالقتال". حتى نزلت هذه الآية.

---

١ – رواه ابن أبي حاتم– رقم: ١٣٩٥٨

٢ – التفسير البسيط (١٥/ ٤٢٢)

www.alukah.net
شبكة الألوكة

عن ابن عباس قال: هي أول آية نزلت في القتال.[1]

يقول الله تعالى: أَذِنَ الله للمؤمنين الذين يُقاتَلون أن يدفعوا الظلم الذي وقع عليهم من المشركين بقتالِهم، ﴿وَإِنَّ اللَّهَ عَلى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾، وعد من الله تعالى بنصرهم، وقد فعله.

﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَاّ أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾.

هم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، آذاهم المشركون أبلغ الأذي حتى اضطروهم إلى الخروج من ديارهم، بغير ذنب فعلوه، ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ...﴾، تفسير للظلم المتقدم في قوله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا﴾، ﴿بِغَيْرِ حَقٍّ﴾، بغير موجب استحقوا به الإخراج. ﴿إِلَاّ أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾، أي: إلا قولهم ربنا الله، وهو استثناءٌ منقطع بمعنى: لكن؛ أي: من غير جريرة، لكنْ لأنهم قالوا: ﴿رَبُّنَا اللَّهُ﴾ وحده لا شريك له.

﴿وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَواتٌ وَمَساجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً﴾.

ولولا ما شرعه الله تعالى للأنبياء والمؤمنين من جهاد المشركين، لتسلط المشركون على بيوت الله بالهدم، والتخريب والتعطيل، في زمن كل نبي، ومنع المؤمنين من الصلاة والعبادة، وذكر الله تعالى فيها.

والصَوامِعُ هي معابد الرهبان الصغيرة المتخذة في الصحراء، والبِيَعُ هي كنائس النصارى في البلدان، وقيل: الصوامع للصابئين والبيع للنصارى والصَلَواتُ هي معابد اليهود ويسمونها بالعبرانية صَلُوتا، ومَساجِدُ يعني: مساجد المسلمين، التي يذكر فيها اسم الله كثيرًا.

قال ابن جرير: لهدمت صوامع الرهبان وبِيعُ النصارى وصلوات اليهود، وهي كنائسهم، ومساجد المسلمين التي يذكر فيها اسم الله كثيرًا.[2]

---

١ - رواه عبد الرزاق في تفسيره- رقم: ١٩٣٧

٢ - تفسير الطبري (١٦/ ٥٨٦)

وقيل: في الآية تَرَقٍّ من الأدنى إلى الأعلى فإن المساجد أكثرُ عُمَّارًا وأكثرُ عُبَّادًا، وهم أصح الأمم اعتقادًا.[1]

﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ﴾.

اللام هي الموطئة للقسم؛ أي: أقسم لينصرن الله من ينصر دينه.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾.

إن الله قوي على نصرة أوليائه، عزيز لا يغالب، ولا يعجزه هارب.

﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ﴾.

هذا شرط شرطه الله تعالى على من مكنهم في الأرض من هذه الأمة، أن يقيموا الصلاة، وأن يؤتوا الزكاة، وأن يأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر، ويطبقوا شرعه تعالى، ولا تأخذهم في الله لومة لائم؛ ليكونوا أهلا لولاية الله تعالى ونصرته.

عن قتادة في قوله: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾. قَالَ: هَذَا شرط الله على هذه الأمة.[2]

واقتران الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة دليل وجوبه على عموم الأمة كلٌّ بحسب طاقته.

﴿وَلِلَّهِ عاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾.

---

١ - تفسير ابن كثير (٥/ ٤٣٦)

٢ - رواه ابن أبي حاتم- رقم: ١٣٩٨١

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أي: ولله تعالى وحده مرجع الأمور كلها إليه فيجازي كلاً بعمله، وهو تذييل يشتمل على وعد لمن أطاعه، وأقام شريعته، ووعيد لمن فرط في أمره ونهيه، وخذل دينه بعد تمكينه في الأرض.

﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعادٌ وَثَمُودُ (٤٢) وَقَوْمُ إِبْراهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ (٤٣) وَأَصْحابُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسى فَأَمْلَيْتُ لِلْكافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كانَ نَكِيرِ (٤٤) فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْناها وَهِيَ ظالِمَةٌ فَهِيَ خاوِيَةٌ عَلى عُرُوشِها وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ (٤٥) أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِها أَوْ آذانٌ يَسْمَعُونَ بِها فَإِنَّها لا تَعْمَى الْأَبْصارُ وَلكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ (٤٦)﴾.

يقول الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم: وإن يكذبوبك يا محمد فلا تحزن، ولا تأس عليهم فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعادٌ وثمود رسلهم، فلك فيمن سبقك من الرسل أسوة.

﴿وَقَوْمُ إِبْراهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ﴾.

وقوم إبراهيم وقوم لوط كذبوا إبراهيم ولوطًا عليهما السلام.

﴿وَأَصْحابُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسى﴾.

وأصحاب مدين كذبوا شعيبًا كذلك، وكما كُذِّبَ أولئك الرسل كُذِّبَ موسى عليه السلام كذلك، مع ما جاء به من الآيات البينات والمعجزات الباهرات، ولم يقل الله تعالى: وقوم موسى؛ لأن فرعون وقومه الذين كذبوا موسى لم يكونوا من قومه.

﴿فَأَمْلَيْتُ لِلْكافِرِينَ﴾.

أي: فأمهلتهم إقامة للحجة عليهم، حتَّى تصرمتْ آجالهم.

ووضعُ الظاهر موضعَ الضمير، وما قال: فأمليت لهم، لذمِّهم على الكفرِ، وبيان أنه علة العقاب.

﴿ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ﴾.

أي: ثم عاقبتُ كل فريق من المكذِّبين بعد انقضاء مدَّةِ وإمهالِه بالهلاك؛ كما قال تعالى: ﴿وَكَذلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذا أَخَذَ الْقُرى وَهِيَ ظالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾.[1]

﴿فَكَيْفَ كانَ نَكِيرِ﴾.

سؤال الغرض منه التقرير والتهويل لما جرى عليهم الهلاك، حيث أبدلتهم بالنعم نقمًا وبالحياة هلاكًا، والأخذ كناية عن الإهلاك، أي: فكيف كان إنكارِي عليهم؟ وفيه تعريض بمشركي قريش؛ لمشابهتهم في الكفر والتكذيب.

﴿فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْناها وَهِيَ ظالِمَةٌ﴾.

في الكلام حذف اختصار تقديره: فكم من قرية أهلكنا أهلها، حال كونهم ظالمين.

﴿فَهِيَ خاوِيَةٌ عَلى عُرُوشِها وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ﴾.

يخبر الله تعالى عن حال تلك القرى بعد هلاك أهلها، فأصبحت خالية لا يسكنها أحد، فخربت وتهدم بنيانها، وسقطت سقوفها، ﴿وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ﴾، لا يستقي منها أحد، ﴿وَقَصْرٍ مَشِيدٍ﴾، أي: وقصر أحكم بنائه، وارتفع كالحصن، وهو خالٍ لا يسكنه أحد.

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾.

يقول الله تعالى عن مشركي قريش الذين كفروا بالله تعالى وكذبوا رسوله صلى الله عليه وسلم، ولم يعتبروا بمصارع الغابرين، منكرًا عليه ما فيه من الغفلة، وما هم عليه من الإعراض والنفور: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾، ليعتبروا بمصارع الغابرين، ويروا ما حل بمن كان قبلهم من السابقين.

﴿فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِها أَوْ آذانٌ يَسْمَعُونَ بِها﴾.

---

١ - سورة هود: الآية/ ١٠٢

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فيعقلوا بقلوبهم قدرة الله الباهرة، وبطشه الشديد بمن كفر به وكذب رسله، ووحدانيته تعالى، أو يسمعوا بآذنهم، ما حل بمن خالف أمر الله وعصى رسله، من الوبال، وما نزل بهم من النكال، فمزقوا كل ممزق حتى أصبحوا أثرًا بعد عين، وأحاديث يسير بها الركبان.

وفي الآية دليل على أن محل العقل من البدن هو القلب، بخلاف ما يزعمه الأطباء: أن محلّ العقل الرأس الدماغ، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِها﴾ [الأعراف: ١٧٩]، فنسب الفقه للقلوب، ولا يكون إلا بالعقل؛ فدل على أن العقل في القلب.

﴿فَإِنَّها لا تَعْمَى الْأَبْصارُ وَلكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾.

قوله: ﴿فَإِنَّها﴾، ضمير مبهم يفسره الأبصار، والمعنى: فإنّ الأبصار لا تعمى؛ أي: إنهم يرون بأبصارهم، ﴿وَلكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ﴾، وهو عمى البصائر.

وقوله تعالى: ﴿الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾؛ تأكيد على أن محل العقل من البدن هو القلب، وأن المراد بالقلب هو الذي في الصدر؛ كما في قوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْواهِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٦٧]، وقوله تعالى: ﴿وَلا طائِرٍ يَطِيرُ بِجَناحَيْهِ﴾ [الأنعام: ٣٨]، ولا يجوز رد صريح كلام الله تعالى لقول أحد من الخلق، وقد قامت الدلائل على تلك الحقيقة العلمية.

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْماً عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ (٤٧) وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَها وَهِيَ ظالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُها وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ (٤٨) قُلْ يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّما أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ (٤٩) فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٥٠) وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آياتِنا مُعاجِزِينَ أُولئِكَ أَصْحابُ الْجَحِيمِ (٥١)﴾.

يقول الله تعالى لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم: ويستعجلك المشركون بالعذاب الذي توعدهم الله تعالى به على كفرهم، استهانة به وعدم تصديق بوعيد الله تعالى لهم؛ كما قال الله تعالى عنهم: ﴿وَإِذْ قالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كانَ هَذا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنا حِجارَةً مِنَ

السَّماءِ أَوِ ائْتِنا بِعَذابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال: ٣٢]، وقال تعالى: ﴿وَقالُوا رَبَّنا عَجِّلْ لَنا قِطَّنا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسابِ﴾ [ص: ١٦]؛ أى: نصيبَنا من العذابِ قبلَ يومِ القيامةِ.

﴿وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾.

ولن يخلف الله تعالى وعده بالعذاب إذا أراد الله تعالى وقوعه، ولكن يجعل الله تعالى له أجلًا، ولا يعجل لعجلة العباد، وإنما ذكر الله تعالى هنا الوعد ولم يذكر الوعيد؛ لأنه قد يعفو ويصفح؛ وقد رَوَى الأصمعي قال: كُنَّا عِنْدَ أَبِي عَمْرِو بْنِ اَلْعَلَاءِ فَجَاءَهُ عَمْرُو بْنُ عُبَيْدٍ فَقَالَ: يَا أَبَا عَمْرٍو هَلْ يُخْلِفُ اَللَّهُ اَلْمِيعَادَ؟

قَالَ: لَا. قَالَ: أَرَأَيْتَ إِذَا وَعَدَ عَلَى عَمَلٍ ثَوَابًا يُنْجِزُهُ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَكَذَلِكَ إِذَا وَعَدَ عَلَى عَمَلٍ عِقَابًا، قَالَ: فَقَالَ أَبُو عَمْرٍو رضي الله عنه: إِنَّ اَلْوَعْدَ غَيْرُ اَلْوَعِيدِ إِنَّ اَلْعَرَبَ لَا تَعُدُّ خُلْفًا أَنْ تُوعِدَ شَرًّا فَلَا تَفِي بِهِ، وَإِنَّمَا اَلْخُلْفُ أَنْ تَعِدَ خَيْرًا فَلَا تَفِي بِهِ، ثُمَّ أَنْشَدَ:

وَلَا يَرْهَبُ اِبْنُ اَلْعَمِّ وَالْجَارُ صَوْلَتِي **** وَلَا أَنْثَنِي مِنْ خَشْيَةِ اَلْمُتَهَدِّدِ
*

وَإِنِّي إِذَا أَوْعَدْتُهُ أَوْ وَعَدْتُهُ **** لَمُخْلِفٌ إِيعَادِي وَمُنْجِزٌ مَوْعِدِي
*

﴿وَإِنَّ يَوْماً عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾.

أي: وليس عذاب الله تعالى ببعيد ممن أراد الله عذابه؛ فإن اليوم في حكم الله كألف سنة مما يعد الناس.

﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَها وَهِيَ ظالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُها وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾.

أي: وكم من قرية أخرت إهلاكها مع حال كونها ظالمة بكفرها فغرها إمهال الله تعالى، ثم أنزلت بها بأسى، وحلت بها نقمتي، في الدنيا، وإليَّ مصيرهم للحساب والجزاء، وتقديم الجر والمجرور للاختصاص؛ أي: إليَّ لا إلى غيري مصيرهم، مبالغة في الوعيد والترهيب، وكرره

www.alukah.net
شبكة الألوكة

للتهويل، وفيه تعريض بمشركي قريش؛ لمشابهتهم في الإمهال والظلم، وتقدير الكلام: وكم من قرية أَملَيتُ لها كما أمهلتكم. وهي ظالِمَةٌ مثلكم ثُمَّ أَخَذتُها بالعذاب.

﴿قُلْ يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّما أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾.

يقول الله تعالى: قل يا محمد يا أيها الناس إنما أنا لكم نذير مبين أنذركم بأس الله تعالى وعذابه، إذا خالفتم أمره وعبدتم غيره، وعصيتم رسوله، والخطاب عام للمؤمنين والكفار، وقوله: (إنما) للقصر أي: لا أملِكُ لكم غير ذلك، فأما تعجيلُ العقابِ وتأخيرُه الذي تَستَعجِلُونني به، فليس ذلك إليَّ، ولا أقدرُ عليه، إنما ذلك إلى الله تعالى.

والآية أصل في عموم رسالته صلى الله عليه وسلم؛ فإن لفظ الناس عام يشمل البشر جميعًا.

﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾.

أي: فالذين آمنوا بما أرسلت به، وصدقوا إيمانهم بالعمل الصالح، لهم مغفرة لما سلف من سيئاتهم، وجزاء حسن على طاعتهم.

قال محمد بن كعب القُرَظِيّ: إذا سمعتَ الله تعالى يقول: ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾. فهو الجنة.[1]

وعن سَعيدِ بن جُبيرٍ في قوله: ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ﴾. يَعْنِي: لِذُنُوبِهِمْ ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾. يَعْنِي حَسَنٌ فِي الْجَنَّةِ.[2]

﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آياتِنا مُعاجِزِينَ﴾.

أي: اجتهدوا في إبطالها بتنفير الناس عنها وقالوا: عن القرآن أساطير الأولين. يقال: سعيت في أمر فلان، إذا أصلحه أو أفسده بسعيه.

---

١ - تفسير ابن كثير (٥/ ٤٤١)

٢ - رواه ابن أبي حاتم- رقم: ١٤٣٤٠

قرأ ابن كثير وأبو عمرو ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آياتِنا مُعَجِّزِينَ﴾. بغير ألف وتشديد الجيم أَي: مثبطين، النَّاس عَن الإيمان بالله تعالى ومتابعة الرَسُول صلى الله عَلَيْهِ، وَقيل: ﴿مُعَجِّزِينَ﴾. أي: ينسبون من تبع النَّبِي صلى الله عَلَيه وسلم إِلى الْعَجز، كقولك: جهَّلته نسبته إِلى الجهل وفسَّقته نسبته إِلى الفسق.

وقرأ الباقون: ﴿مُعاجِزِينَ﴾. أَي: مسابقين في زعمهم. ظانين أَنهم يعجزوننا؛ لأَنهم ظنُّوا أَنهم لَا يبعثون وَأَنه لَا جنَّة وَلَا نَار.

قال الزمخشري: وعاجزه: سابقه؛ لأنّ كل واحد منهما في طلب إعجاز الآخر عن اللحاق به، فإذا سبقه قيل: أعجزه وعجَّزه.[1]

وقال ابن عباس: ﴿مُعاجِزِينَ﴾: مراغمين.[2]

وقال مُجاهِد: ﴿مُعَجِّزِينَ﴾: مبَطِّئين، يبطئون الناس عن اتباع النبي صلى الله عليه وسلم.[3]

وقال قَتادَة: ظنُّوا أَنهم يعجزون الله.[4]

وقال الفراء: ﴿مُعاجِزِينَ﴾، أَي: معاندين.[5]

﴿أُولئِكَ أَصْحابُ الْجَحِيمِ﴾.

أي: أولئك أصحاب النار الموقدة، ووصفوا بذلك لملازمتها لهم ملازمة الصاحب لصاحبه.

﴿وَما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلا نَبِيٍّ إِلَاّ إِذا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ ما يُلْقِي الشَّيْطانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آياتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٥٢) لِيَجْعَلَ ما يُلْقِي الشَّيْطانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقاقٍ بَعِيدٍ (٥٣) وَلِيَعْلَمَ

١ - تفسير الكشاف (٣/ ١٦٣)

٢ - رواه ابن أبي حاتم- رقم: ١٣٩٩١

٣ - رواه ابن أبي حاتم- رقم: ١٣٩٩٤

٤ - رواه ابن أبي حاتم- رقم: ١٣٩٩٥

٥ - معاني القرآن للفراء (٢/ ٢٢٩)

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٥٤)﴾.

مناسبة الآيات لما قبلها:

لما ذكر الله تعالى الكفار وأخبر أنه اجتهدوا في الصد عن سبيل الله، وفي إبطال آيات الله بتنفير الناس عنها، أخبر تعالى هنا أن ذلك الأمر ليس قاصرًا عليهم، وأن سلفهم في الصد عن سبيل الله، هو الشيطان الرجيم.

﴿وَما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلا نَبِيٍّ إِلَاّ إِذا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾.

يقول الله تعالى لرسوله صلى الله وسلم مسليًّا له عما ناله من أذى المشركين، وما أرسلنا من قبلك يا محمد ﴿مِنْ رَسُولٍ وَلا نَبِيٍّ﴾، الرسول هو من أوحي إليه، وأمر بالتبليغ، وجاء بشرع جديد، والنبي هو من أوحي إليه وأمر بالتبليغ، ولم يأت بشرع جديد، والعطف يفيد المغايرة، ﴿إِلَاّ إِذا تَمَنَّى﴾، التمني من الألفاظ المشتركة التي يراد بها عدة معانٍ ومنها: التلاوة؛ قال حسَّان بن ثابت في عثمان رضى الله عنه حين قتل:

تَمَنَّى كِتَابَ اللهِ أَوَّلَ لَيْلَةٍ **** وَآخِرَهَا لَاقَى حِمَامَ الْمَقَادِرِ
*

وقال الآخر:

تمنَّى كتابَ اللهِ أَوَّلَ ليلِهِ **** تَمَنِّيَ داودَ الزَّبورَ على رِسْلِ
*

وعلى هذا القول فالمعنى: إذا تلا الرسول على قومه كلام الله تعالى، ألقى الشيطان في نفوس أوليائه من الوساوس، والشبه ما يصدهم به عن كلام الله، من زعمه أنه إفك افتراه، وأنه أساطير الأولين، وغيرها من الشبه.

ويطلق التمني ويراد به: محبة الشيء وإرادته، وكل نبي يتمنى إيمان قومه، وانتشار شريعته، الشيطان فيلقي الشيطان عليهم الوساوس والشبه، ليصدهم عن سبيل اللَّه.

﴿فَيَنْسَخُ اللَّهُ ما يُلْقِي الشَّيْطانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آياتِهِ﴾.

فيزيل الله تعالى ما يلقيه الشيطان ويبطله، ﴿ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آياتِهِ﴾، أي: يثبتها تعالى في نفوس عباده المؤمنين؛ كما قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ﴾.[1]

﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

والله عليم بكيد أعدائه، حكيم في أقواله وتشريعاته.

﴿لِيَجْعَلَ ما يُلْقِي الشَّيْطانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ﴾.

ليجعل الله تعالى ما يلقيه الشيطان من الشبهات والوساوس فتنة للذين في قلوبهم مرض الشبهات، وهم المنافقون، ﴿وَالْقاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ﴾، وهم اليهود والنصارى والمشركين؛ كما قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشابَهَ مِنْهُ ابْتِغاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغاءَ تَأْوِيلِهِ﴾.[2]

﴿وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقاقٍ بَعِيدٍ﴾.

المراد بالظالمين المنافقون واليهود والنصارى والمشركون، وبينهم عداء دائم، قال الزجاج: الشقاق غاية العداوة. ووضع الظاهر موضع المضمر للتنصيص على علة الفتنة التي أصيبوا بها.

﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ﴾.

وليعلم المؤمنون الذين يعلمون أن القرآن كلام الله تعالى، نزل به الروح الأمين، وأنه حق لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فيزداد إيمانهم به.

---

١ – سورة الرعد: الآية/ ١٧

٢ – سورة آل عمران: الآية/ ٧

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ﴾.

فتطمئن له قلوبهم، وتخضع وتذل لأحكامه، ولا يؤثر فيهم الشبهات، ولا تنال منهم وساوس الشيطان.

﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾.

وعدٌ من الله تعالى بالهداية لمن آمن بكتابه، يهديهم الله تعالى للعمل بمحكمه، والإيمان بمتشابهه، والتصديق بوعده ووعيده، ووعد بالهدية في الآخرة إلى دار كرامته.

﴿وَلا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ (٥٥) الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (٥٦) وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآياتِنا فَأُولئِكَ لَهُمْ عَذابٌ مُهِينٌ (٥٧) وَالَّذِينَ هاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ ماتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقاً حَسَناً وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (٥٨) لَيُدْخِلَنَّهُمْ مُدْخَلاً يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ (٥٩)﴾.

يقول الله تعالى: ولا يزال هؤلاء الكفارُ في شكٍّ من أمرِ هذا القرآن، ﴿حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً﴾. إلى أن تأتيَهم الساعةُ فجأةً، بنفخة الصعق فتنهدم عمارة الكون، وتستلب أرواحهم، ويحتمل أن يكون المراد بالساعة حلول آجالهم بالموت، ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾، هو يوم القيامة، قال عكرمة، ومجاهد: هو يوم القيامة لا ليلة له.

وقيل له يوم عقيم؛ لأنه لا ليلة بعده.

وقيل: المراد باليوم العقيم يوم بدر، والراجح الأول؛ لدلالة الآيات بعدها.

﴿الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾.

أي: الملك في ذلك اليوم الذي تزول فيه مريتهم وهو يوم القيامة لله وحده، لا ينازعه فيه أحد، فقد زالت الممالك، واستلب الملك من كل ملك؛ كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ هُمْ بارِزُونَ لا

يَخْفى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْواحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦]، ﴿يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾، يفصل بين المؤمنين والكافرين.

﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾.

أي: فالذين آمنُوا بالقرآن الكريم ولم يُماروا فيه، ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ﴾. امتثالاً بما أُمروا في تضاعيفِه ﴿فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾. أي: مستقرُّون فيها.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآياتِنا فَأُولئِكَ لَهُمْ عَذابٌ مُهِينٌ﴾.

أي: والذين كفروا بالله تعالى، وأصرُّوا على ذلك واستمرُّوا حتى ماتوا على كفرهم، ﴿كَذَّبُوا بِآياتِنا﴾، يعني: الآيات المتلوة في القرآن، ﴿فَأُولئِكَ لَهُمْ عَذابٌ مُهِينٌ﴾، أي: عذاب مذل.

﴿وَالَّذِينَ هاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ ماتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقاً حَسَناً﴾.

يقول الله تعالى: والذين خرجوا من أوطانهم فارين بدينهم، مجاهدين في سبيل ربهم ﴿ثُمَّ قُتِلُوا﴾. في الجهاد في سبيل الله، ﴿أَوْ ماتُوا﴾. حتف أنوفهم، ﴿لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقاً حَسَناً﴾، أي: في البرزخ قبل البعث والنشور، كما قال تعالى: ﴿وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتاً بَلْ أَحْياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩]، وسوى بين من قتل في الجهاد، ومن مات مهاجرًا في الأجر؛ لاستوائهما في القصد.

والرزق الحسن: هو الذي لا يلحقه ألم الانقطاع، ولا يسبقه تعب الكسب.

﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾.

لأنه عطاءه بغير حساب.

﴿لَيُدْخِلَنَّهُمْ مُدْخَلاً يَرْضَوْنَهُ﴾.

أي: ليدخلهم الجنة، وفيه دليل على أن ما تقدم من الرزق كان في البرزخ.

﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

عليم بمن هم أهل لكرامة الله، حليم لا يعاجل بالعقوبة.

﴿ذلِكَ وَمَنْ عاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ (٦٠) ذلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهارِ وَيُولِجُ النَّهارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (٦١) ذلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْباطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ (٦٢) أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ (٦٣) لَهُ ما فِي السَّماواتِ وَما فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (٦٤)﴾.

أي: ذلك الذي قصصنا عليك من جزاء المهاجرين في سبيل الله، ولهم مع ذلك أنِّي أنصرهم في الدنيا على مَن بغَى عليهم.

﴿وَمَنْ عاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾.

يقول الله تعالى: من جازى الظالم بمثل ما ظلمه، ثم بُغِيَ على هذا الذي هذا الذي انتصر لنفسه أول مرة ظلم ﴿لَيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ﴾، أي: فقد تكفل الله بنصره، واللام هي الموطئة للقسم.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾.

لما أذن الله تعالى في دفع الظلم بقدر المظلمة، ووعد من بغي عليه بالنصر، ذييل الله تعالى الآية بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾، ترغيبًا في العفو والصفح والمغفرة، عن المذنب المسيء؛ وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿وَإِنْ عاقَبْتُمْ فَعاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾ [النحل: ١٢٦]، وقوله تعالى: ﴿وَجَزاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُها فَمَنْ عَفا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾.[1]

وسمّى الأَوّل عقوبة باسم الثاني لأنهما من جنس واحد، مشاكلة للفظ الآخر.

﴿ذلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهارِ وَيُولِجُ النَّهارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾.

---

١ - سورة الشورى: الآية/ ٤٠

أي: ذلك الذي أخبركم أنه تعالى فاعلُه من نصرة من بُغِي عليه، بأنه على كل شيء قدير، ومن قدرته تعالى أنه يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل، وأنه تعالى سميع بصير لا يخفى عليه حال عباده.

﴿ذلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْباطِلُ﴾.

أي: ذلك الذي ذكره تعالى من قدرته على كل شيء، بأنه تعالى هو الإله المستحِقُّ للإلهية، فلا معبود بحق سواه تعالى، وأن ما يزعمه عباد الأوثان هو الباطل.

﴿وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾.

أي: وبأنه تعالى هو العلي، علو الذات، فهو فوقَ كلِّ شيءٍ، وكلُّ شيءٍ دونَه، وعلو القدر، وعلو القهر، وأنه تعالى العظيم، فلا أعظم منه.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً﴾.

يقولُ الله تعالى: أَلَمْ تَرَ يا محمدُ، ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً﴾، سؤال ومعناه الخبر، ﴿فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً﴾. أي: فتصير الأرض خضراء بما ينبُتُ فيها من النباتِ، وبه حياة الأرض بعد موتها، وهذا من دلائل قدرته، وهو كذلك من دلائل البعث والنشور.

وقال تعالى: ﴿فَتُصْبِحُ﴾. ولم يقل فأصبحت ليفيد بقاء أثر المطر زمانًا بعد زمان.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾.

أي: رحيم بعباده واصله لطفه إلى جميع خلقه، ﴿خَبِيرٌ﴾، بأحوال عباده عالم بمقادير مصالحهم.

﴿لَهُ ما فِي السَّماواتِ وَما فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾.

أي: له كل شيء في الكون ملكًا وخلقًا، ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾. وهو تعالى غني جميع، له الحمد لذاته وعلى نعمه وأفضاله.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ ما فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّماءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلاّ بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُفٌ رَحِيمٌ (٦٥) وَهُوَ الَّذِي أَحْياكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الْإِنْسانَ لَكَفُورٌ (٦٦) لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنا مَنْسَكاً هُمْ ناسِكُوهُ فَلا يُنازِعُنَّكَ فِي الْأَمْرِ وَادْعُ إِلى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلى هُدىً مُسْتَقِيمٍ (٦٧) وَإِنْ جادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِما تَعْمَلُونَ (٦٨) اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ فِيما كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (٦٩)﴾.

يذكر الله تعالى ما امتن به على عباده من أصناف النعم التي بثها في الأرض فيقولُ: ألم ترَ أن اللهَ سخَّر لكم أيها الناسُ ما في الأرضِ جميعًا، فإن (ما) من ألفاظ العموم؛ ودل عليه قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ ما فِي السَّماواتِ وَما فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ﴾ [الجاثية: ١٣]، ﴿وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ﴾. يقولُ: وسخَّر لكم السفنَ تجرى في البحرِ بقُدرته وتذليلِه إياها لكم.

﴿وَيُمْسِكُ السَّماءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلاّ بِإِذْنِهِ﴾.

ومن رحمته تعالى بعباده، ولطفه بهم وإحسانه إليهم، أنه تعالى يمسك السماء بقدرته لئلا تقع على الأرض إلا بمشيئته، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولا وَلَئِنْ زالَتا إِنْ أَمْسَكَهُما مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كانَ حَلِيماً غَفُوراً﴾.[1]

﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُفٌ رَحِيمٌ﴾.

حيث هيأ لهم أسباب المنافع، ودفع عنهم أنواع المضار، ﴿رَحِيمٌ﴾، ومن رحمته بهم إرسال الرسل وإنزال الكتب، وامهال العصاة.

﴿وَهُوَ الَّذِي أَحْياكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾.

أي: وهو وحده تعالى الذي أحياكم أي: أوجدكم من العدم، ثم يميتكم لانقضاء آجالكم، ثم يحييكم بالبعث والنشور للجزاء والحساب.

﴿إِنَّ الْإِنْسانَ لَكَفُورٌ﴾.

---

١ - سورة فاطر: الآية/ ٤١

أي: لجحود لنعم الله مع ظهورها، وكثرتها.

﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنا مَنْسَكاً هُمْ ناسِكُوهُ﴾.

المنسك مصدر بمعنى النسك، ويطلق النسك ويراد به الذَّبِيحَة: ويقال لها النسيكة، ويطلق ويراد به: الموضعُ الَّذِي تذبحُ فِيهِ الذبائحُ، ويطلق: العِبادَةُ والطّاعَةُ وكلُّ مَا تُقُرِّبَ بِهِ إِلى الله تعالى، وَمِنْه قَوْلُه تَعالَى: ﴿إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيايَ وَمَماتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢]، وقيل لثَعلَبٍ: هَل يسَمَّى الصَّومُ نُسكًا فقال: كُلّ حَق لله تعالى يُسَمَّى نُسكًا.[1]

﴿فَلا يُنازِعُنَّكَ فِي الْأَمْرِ﴾.

هذا أمر من الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم بالتمسك بأحكام شريعته، وألا يلتفت إلى هؤلاء الوثنين، وألا يمكنوا من شيء من المناسك، فإنهم ليسوا على شيء من الدين؛ لذلك أرسل النبي صلى الله عليه وسلم من ينادي في الناس: ألا يحج بعد العام مشرك، وألا يطوف بالبيت عريان.

﴿وَادْعُ إِلى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلى هُدىً مُسْتَقِيمٍ﴾.

وادع الناس إلى عبادة الله تعالى وتوحيده، وشريعته، ﴿إِنَّكَ لَعَلى هُدىً مُسْتَقِيمٍ﴾، أي: طريق واضح مستقيم، وقد أكد الله تعالى ذلك بتأكيدين، إنَّ واللام الموطئة للقسم.

﴿وَإِنْ جادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِما تَعْمَلُونَ﴾.

أي: وإن خاصموك يا محمد، يريد مشركي مكة في شيء من الشرائع، فقل لهم: الله أعلم بأعمالكم وسيجازيكم عليها؛ كما قالوا: ﴿لَوْ شاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنا وَلا آباؤُنا وَلا حَرَّمْنا مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٤٨]، وقالوا: ﴿أَنُطْعِمُ مَنْ لَوْ يَشاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ﴾ [يس: ٤٧]، وقالوا: أتأكلون ما قتلتم، ولا تأكلون الميتةَ التي قتلها اللهُ؟

﴿اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ فِيما كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾.

---

١ - المحكم والمحيط الأعظم (٦/ ٧٢٤)

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أي: الله يفصل بينكم أيها المؤمنون والكافرون يوم القيامة ﴿فِيما كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾، من أمرِ الدِّينِ.

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّماءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذلِكَ فِي كِتابٍ إِنَّ ذلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (٧٠) وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ما لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطاناً وَما لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ وَما لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ (٧١) وَإِذا تُتْلى عَلَيْهِمْ آياتُنا بَيِّناتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ يَكادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آياتِنا قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذلِكُمُ النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (٧٢)﴾.

لما قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ جادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِما تَعْمَلُونَ﴾، بين الله تعالى هنا أنه تعالى أحاط بكل شيء علمًا، وأن علم ذلك في كتاب، وفيه تهديد ووعيد لهؤلاء المشركين الذين يجادلون في دين الله بالباطل.

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ.....﴾. سؤال الغرض من التقرير؛ كقول الشاعر:

أَلَسْتُمْ خيرَ مَنْ رَكِبَ المطَايا **** وَأَنْدى العالمِينَ بُطُونَ راحِ

*

يقول الله تعالى لرسوله صلى لله عليه وسلم: ألم تعلم يا محمدُ أنَّ الله يعلمُ ما في السماواتِ، والأَرضِ، وأنه تعالى لا يَخفَى عليهِ مِن ذلك شيءٌ من خلقه؟

﴿إِنَّ ذلِكَ فِي كِتابٍ﴾.

إنَّ علمَه بذلك فى كتابٍ، وهو اللوح المحفوظ الذي كتَب فيه كل ما هو كائنٌ إلى يومِ القيامةِ؛ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ قَالَ: وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ».[1]

١ – رواه مسلم– كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام، حديث رقم: ٢٦٥٣

﴿إِنَّ ذلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾.

أي: إن علمه بجميع ذلك هين على الله تعالى، وقيل: المراد حكمه بين المختلفين يوم القيامة.

﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ما لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطاناً وَما لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾.

يقول الله تعالى: ويعبدون يعني مشركي مكة من تلك الأوثان ما لم ينزل الله تعالى به حجة تدل على جواز عبادتها، ﴿وَما لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾، ولم يدلهم على جواز عبادة تلك الأوثان دليل عقلي.

﴿وَما لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾.

المراد بالظلم هنا الشرك؛ أي: وما لهؤلاء المشركين الذين ظلموا أنفسهم بعبادة غير الله من أحد ينصرهم من بأسه تعالى إذا حل بهم، ووضع الظاهر موضع المضمر لبيان علة خذلانهم.

﴿وَإِذا تُتْلى عَلَيْهِمْ آياتُنا بَيِّناتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ﴾.

يقول الله تعالى: وإذا تليت على هؤلاء الذين يعبدون الأوثان آياتنا الواضحات المنزلة على رسولنا، وعجزوا عن معارضتها، ترى في وجوه هؤلاء الذين كفروا بالله تعالى الإنكار، والكراهة، بالعبوس والمنكر مصدر؛ وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿وَإِذا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ [الزمر: ٤٥]، ووضع الظاهر لبيان علة كراهتهم للقرآن.

﴿يَكادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آياتِنا﴾.

يكادون يبطشون بالذين يقرؤون عليهم آيات الله هم النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وأصل السطو: البطش القهر.

﴿قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذلِكُمُ﴾.

أي: قل لهم يا محمد أفأخبركم بشر من غيظكم على من يقرؤون عليكم آيات الله؟

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾.

في الكلام حذف اختصار تقديره: شر من ذلك النار وعدها الله تعالى الذين كفروا، ﴿وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾. لمن صار إليها.

﴿يا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُباباً وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبابُ شَيْئاً لا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ (٧٣) ما قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (٧٤) اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (٧٥) يَعْلَمُ ما بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَما خَلْفَهُمْ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (٧٦)﴾.

مناسبة الآية لما قبلها:

لما ذكر الله تعالى جملة من دلائل قدرته الباهرة، وعدد من براهين وحدانيته، ذكر الله تعالى هنا مثلًا جامعًا لحال الأوثان التي اتخذها المشركون آلهة يعبدونها، ويدعونها من دون الله تعالى، وإنها في غاية العجز والضعف، بحيث أنهم لو اجتمعوا على خلق ذباب لما استطاعوا، ولو سلبهم الذباب شيئًا ما استطاعوا استنقاذه منه.

﴿يا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ﴾.

هذا بيان من الله تعالى للمشركين بمثلٍ جامعٍ لحالِ أوثانهم التي يعبدونها من دون الله تعالى، بأنها لا تملك جلب نفع وإن كان حقيرًا، ولا تملك دفع ضرٍّ وإن كان أشد حقارة، وأن تلك الأصنام لا تملك خلق أضعف المخلوقات مثل الذباب، وإن يسلبها الذباب شيئًا لا تستطيع استنقاذه منه.

وقوله تعالى: ﴿يا أَيُّهَا النَّاسُ﴾، عام يراد به الخصوص، وهم المشركون بدلالة قوله تعالى بعدها: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾. على قراءة جمهور القراء.

﴿ضُرِبَ مَثَلٌ﴾.

أي: وصِفَ شَبهٌ، و﴿ضُرِبَ﴾، مبني لما لم يسم فاعله، والضارب للمثل هو الله تعالى.

والمراد: شَبَهُ ما يدعون من دون الله في عجزهم.

ويطلق المثل في كتاب الله ويراد به أربعة معانٍ: الأول: الشبيه والنظير؛ ومنه قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا﴾.[1]

والثاني: صفة الشيء؛ ومنه قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ﴾ [الرعد: ٣٥]؛ أي: صفة الجنة التي وعد المتقون.

والثالث: العبرة؛ ومنه قوله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ﴾ [الزخرف: ٥٦]؛ أي: جعلناهم عبرة لمن بعدهم يتمثل بهم إذا رأي مثل حالهم.

الرابع: السنن؛ ومنه قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٤]؛ يعني: سنن الذين من قبلكم.

أما المثل بمعنى القول السائر الذي يمثل مضربه بمورده فكثير في كتاب الله وإن لم يرد بلفظ المثل؛ ومنه قوله تعالى: ﴿الآنَ حَصْحَصَ الْحَقّ﴾ [يوسف: ٥١]، وقوله تعالى: ﴿وَلا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾.[2]

والمراد هنا بالمثل صفة الشيء؛ أي: صفة الذين تدعون من دون الله في عجزهم وضعفهم، أنهم لن يخلقوا ذبابًا، وفيه ردٌّ على الأخفش في قوله: فان قيل: فأيْنَ المثل؟ قلت: ليس ها هنا مثل.[3]

والزمخشري في قوله: فإن قلت: الذي جاء به ليس بمثل، فكيف سماه مثلا؟[4]

قلت: بل في الآية مثل هو أظهر الأمثال وأبينها.

---

١ – سورة العنكبوت: الآية: ٤١

٢ – سورة فاطر: الآية/ ٤٣

٣ – معاني القرآن للأخفش (٢/ ٤٥٢)

٤ – تفسير الكشاف (٣/ ١٧١)

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قال ابن القيم: وهذا المثل من أبلغ ما أنزله الله سبحانه في بطلان الشرك، وتجهيل أهله، وتقبيح عقولهم، والشهادة على أن الشيطان قد تلاعب بهم أعظم من تلاعب الصبيان بالكرة.[1]

وقوله تعالى: ﴿فَاسْتَمِعُوا لَهُ﴾؛ أي: فاستمعوا متدبرين ومتعجبين له.

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُباباً وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ﴾.

أي: إن الذين تعبدون من دون الله من العجز والضعف بمكان، وإنهم لعجزهم لن يخلقوا ذبابًا ولو اجتمعوا لإرادة خلقه، وهم لما سوى الذباب أشد عجزًا.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: قَالَ اللهُ عز وجل: «وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي، فَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً أَوْ لِيَخْلُقُوا حَبَّةً أَوْ شَعِيرَةً».[2]

﴿وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبابُ شَيْئاً لا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ﴾.

ولو سلبهم الذباب شيئًا لا يقدرون على أن يستنقذوه منه، وهذه الآية من الإعجاز العلمي في القرآن؛ فقد أثبت العلم الحديث أن ما يعلق في أرجل الذباب، يستحيل في الحال إلى مادة أخرى، ولا سبيل لاستخلاصه منه.

﴿ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾.

يعني: الأوثان لعجزها، والمطلوب: الذباب، لضعفه وحقارته؛ قال ابن عباس: الطالب: الصنم، والمطلوب: الذباب.

وإنما ضرب الله تعالى المثل بالذباب لأنه من أضعف مخلوقات الله وأحقرها.

---

١ - تفسير القرآن الكريم لابن القيم (ص: ٣٨٥)

٢ - رواه البخاري- كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَاللهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾، حديث رقم: ٧٥٥٩، ومسلم- كتاب اللباس والزينة، باب: لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب ولا صورة، حديث رقم: ٢١١١

﴿ما قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾.

أي: وما عظم هؤلاء المشركون الله تعالى حق تعظيمه، حين أشركوا بالله وعبدوا تلك الأوثان التي تعجز عن الذباب.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾.

قوي؛ لأنه خلق الخلق بقدرته، ﴿عَزِيزٌ﴾، لا يغالب، ولا يعجزه أحد من خلقه.

﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾.

مناسبة الآية لما قبلها:

لما ذكر الله تعالى حال الكفار عند سماع آيات الله، وكراهتهم لكلامه تعالى، وبين حالهم مع أنبيائه ورسلهم وأنهم كانوا إلى تليت عليهم آيات الله ﴿يَكادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آياتِنا﴾، من أنبيائه ورسله، بين تعالى هنا مكانتهم عند الله تعالى، واصطفائه تعالى لهم.

يخبر الله تعالى أنه يختار من الملائكة رسلًا يرسلهم إلى من يشاء من عباده، ومنهم من يبلغون وحيه إلى الأنبياء عليهم السلام، ومنهم جبريل عليه السلام، ويختار من الناس رسلًا لإبلاغ رسالاته إلى من أرسلوا إليهم، ومن لوازم اصطفائه تعالى لهم وجوب توقيرهم ومحبتهم وطاعتهم.

﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾.

سميع لما يقوله الناس لرسله، ﴿بَصِيرٌ﴾. بأحوالهم وأحوال أممهم في قبول الرسالات وردها.

﴿يَعْلَمُ ما بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَما خَلْفَهُمْ﴾.

يعلم يقوله الرسل وما يقال لهم، وما يُفعل بهم من الطاعة والعصيان والإهانة والتكريم، لا يخفى عليه من أحوالهم وأحوال أممهم شيء؛ كما قال تعالى: ﴿عالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلى غَيْبِهِ

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أَحَداً (٢٦) إِلاّ مَنِ ارْتَضى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَداً (٢٧) لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسالاتِ رَبِّهِمْ وَأَحاطَ بِما لَدَيْهِمْ وَأَحْصى كُلَّ شَيْءٍ عَدَداً﴾.[1]

﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾.

يحكم فيها بحكمه، فلا رادَّ لأمره ولا معقب لحكمه، ولا يسأل عما يفعل من الاصطفاء وغيره وهم يسألون.

﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٧٧) وَجاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهادِهِ هُوَ اجْتَباكُمْ وَما جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْراهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هذا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَداءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلى وَنِعْمَ النَّصِيرُ (٧٨)﴾.

يقول الله تعالى آمرًا عبادة بإقامة الصلاة والمداومة على توحيده ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا﴾، وخص الركوع والسجود من أفعال الصلاة، لأنهما أدل على الخضوع والذل من سائر أفعال الصلاة، ﴿وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾، أي: ووحدوا ربكُم، وأَخلصُوا له العبادة، ويحتمل أن يكون الأمر بالعبادة بعد الأمر بالركوع والسجود من باب ذكر العام بعد الخاص.

﴿وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

وافعلوا من تؤمرون به من خصال الخير، من البر وصلة الأرحام، ومكارم الأخلاق؛ لتفوزا يوم القيامة برضوان الله والجنة.

﴿وَجاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهادِهِ﴾.

يأمر الله تعالى المؤمنين باستفراغ الوسع في جهاد أعداء الدين، لتكون كلمة الله هي العليا، بالمال واللسان والنفس.

---

١ - سورة الجن: الآية/ ٢٦- ٢٨

وقال ابنُ عباسٍ: ﴿وَجاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهادِهِ﴾: لا تخافوا في الله لومةَ لائمٍ.[1]

﴿هُوَ اجْتَباكُمْ﴾.

أي: هو اختاركم لنصرة دينه، وفضلكم على سائر الأمم، وخصكم بأكرم الرسل، وأكمل الشرائع؛ كما قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾.[2]

﴿وَما جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾.

الحرج: الضيق، ومن فضله عليكم، وإحسانه بكم أنه ما ضيق عليكم في الدين، وما كلفكم ما لا تطيقون، وما ألزمكم ما لا تحتملون؛ قال الله تعالى: ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَاّ وُسْعَها﴾ [البقرة: ٢٨٦]، وقال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وقال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسانُ ضَعِيفاً﴾ [النساء: ٢٨]، وعَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «بُعِثْتُ بِالْحَنِيفِيَّةِ السَّمْحَةِ».[3]

﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْراهِيمَ﴾.

نصب لفظ ﴿مِلَّةَ﴾. على الإغراء؛ أي: الْزَموا ملة أبيكم إبراهيم، وسماه أبًا لهذه الأمة؛ لأنه أبو رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان أبًا لأمته؛ لأن أمة الرسول في حكم أولاده.

﴿هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ﴾.

الضمير عائد على الله تعالى، أي: الله سماكم المسلمين في الكتب المتقدمة وفي الذكر، بدليل قراءة أُبيّ الله سماكم المسلمين. ﴿وَفِي هذا﴾. أي: وسماكم بهذه الاسم الشريف في القرآن تكريمًا لكم.

---

١ – تفسير الطبري (١٦/ ٦٤٠)

٢ – سورة آل عمران: الآية/ ١١٠

٣ – رواه أحمد– حديث رقم: ٢٢٢٩١، والروياني في مسنده– حديث رقم: ١٢٧٩، والطبراني في الكبير– حديث رقم: ٧٨٦٨، بسند ضعيف

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قال ابن عباس ومجاهد، وعطاء، والضحاك، والسدي، وقتادة، ومقاتل بن حَيَّان في قوله: ﴿هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ﴾: الله عز وجل.[1]

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: ﴿هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ﴾ يعني: إبراهيم، وذلك لقوله: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ﴾ [البقرة: ١٢٨].[2]

والصحيح الأول لما أشرنا من قراءة أبيّ بن كعب، ولدلالة السياق.

ومما يدل على هذا ما رواه النسائي في السنن الكبرى عن الحَارِث الْأَشْعَرِيّ، عَنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «مَنْ دَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ، فَإِنَّهُ مِنْ جُثَا جَهَنَّمَ» فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ وَإِنْ صَامَ وَصَلَّى قَالَ: «نَعَمْ، وَإِنْ صَامَ وَصَلَّى، فَادْعُوا بِدَعْوَةِ اللهِ الَّتِي سَمَّاكُمُ اللهُ بِهَا الْمُسْلِمِينَ الْمُؤْمِنِينَ عِبَادَ اللهِ».[3]

﴿لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَداءَ عَلَى النَّاسِ﴾.

بأنه بلغكم رسالته، ويشهد عليكم بطاعة من أطاع وعصيان من عصى، ﴿وَتَكُونُوا شُهَداءَ عَلَى النَّاسِ﴾، بأن الرسل بلغتهم؛ كما قال الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾.[4]

﴿فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكاةَ﴾.

الفاء هنا هي فاء السببية؛ أي: إذا خصكم ربكم بتلك الكرامات من الفضل والاجتباء، فتقربوا إليه بأنواع الطاعات، ومنها إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة.

﴿وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ﴾.

أي: ثقوا بالله، واستعينوا به، وتوكلوا عليه، وقال الحسن: تمسَّكوا بدين الله.

---

١ - تفسير الطبري (١٦/ ٦٤٤)، وتفسير عبد الرزاق- سورة الحج، رقم: ١٩٥١

٢ - تفسير الطبري (١٦/ ٦٤٦)

٣ - رواه النسائي في الكبرى- كتاب السير، الوعيد لمن دعا بدعوى الجاهلية، حديث رقم: ٨٨١٥، بسند صحيح

٤ - سورة البقرة: الآية/ ١٤٣

﴿هُوَ مَوْلاكُمْ﴾.

أي: هو ناصركم على أعدائكم، وهو الذي يتولى أموركم.

﴿فَنِعْمَ الْمَوْلى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾.

فنِعمَ الوليُّ اللهُ لمَن وحده وأطاعه، واعتصَم به، ﴿وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾. ونِعَم الناصرُ هو له استنصره.

آخر تفسير سورة الحج ولله والحمد والمنة، ونسأله التيسير للإتمام.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المحتويات

مُقَدِّمَة ٣
تفسير سورة الأنبياء ٤
مناسبة السورة لما قبلها: ٤
بين يدي السورة: ٤
تفسير سورة الحج ٦٠
مناسبة السورة لما قبلها: ٦١
بين يدي السورة: ٦١
المحتويات ١٢٢